

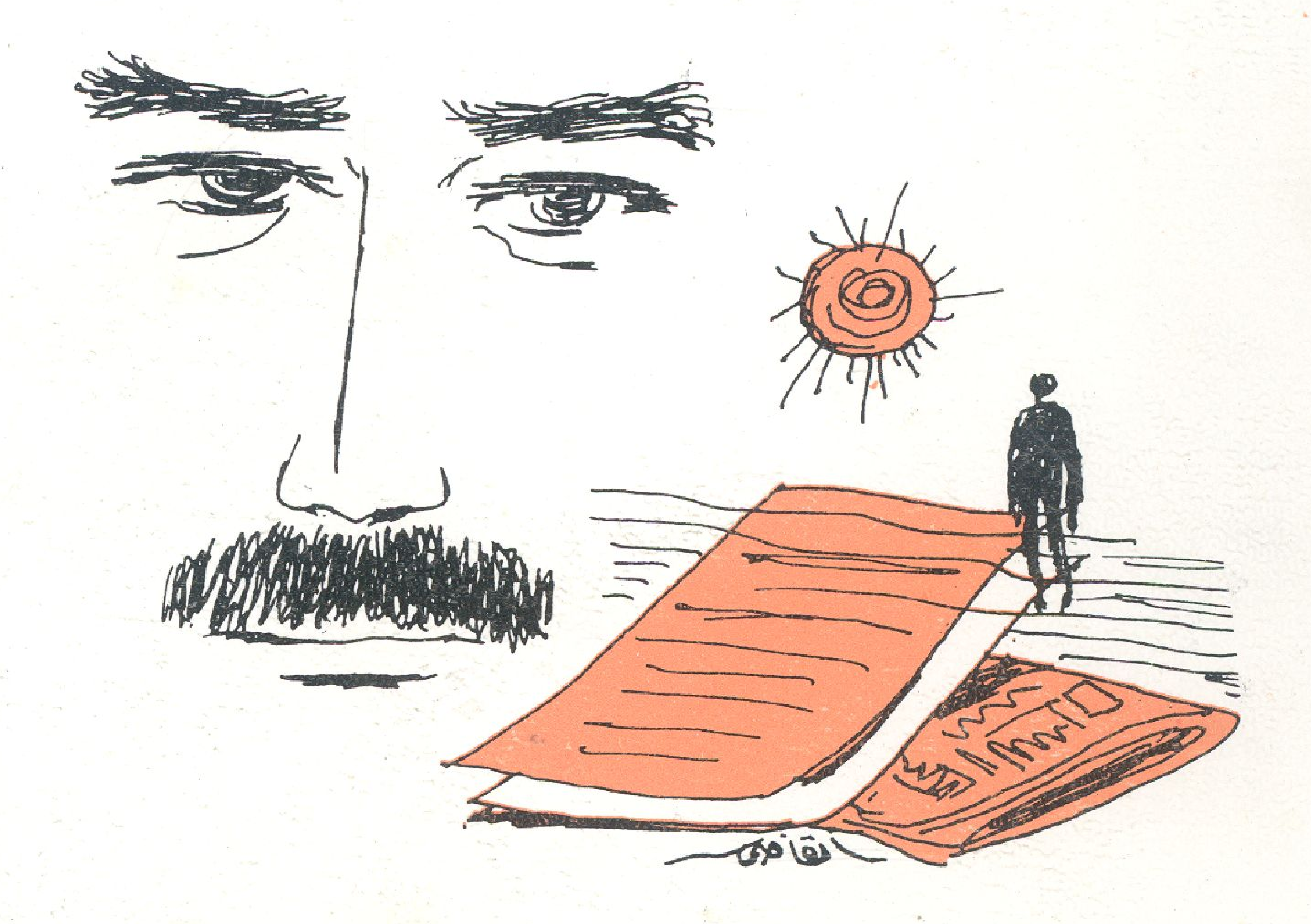
الكتاب الأول

العفو والسماح

خالد منتصر

قصص قصيرة

المجلس الأعلى للثقافة



العفو والسماح

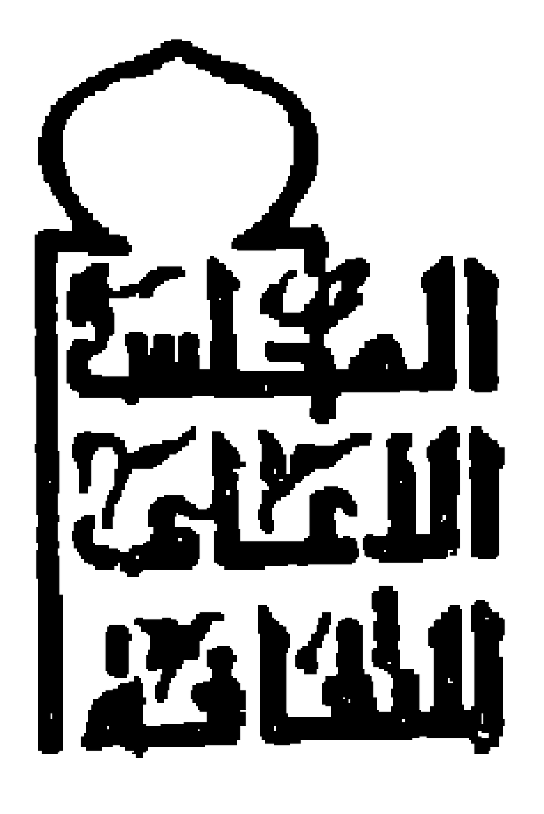
قصص قصيرة

الكتـــاب الأول

العفـو والسمـاح

قصص قصيـرة

خـــالد منتـصر



١٩٩٦

سكرتير التحرير : **منتصر القفاش**

●●● رغبة لها أصوات

أصوات تحيطه من كل جانب .. تحملها الريح .. تبثها الأرض .. تبخها الكائنات .. أن حقق أمنيتك فالبحر براح يسع الحلم .. والزمن ضيق .. ثقب إبرة تخال إنك قد لضمت خيطها وهو مايزال يتأرجح بين الأصابع وبلل الشفتين .. تعبث الريح بالجرائد والمجلات التى يضمها كارتون كالح .. يسند جهة منه بالذراع واليد اليمنى المرتعشة تحت الثقل والأخرى ترتكز إلى ضلوعه .. ينحنى إلى اليسار قليلا لإحداث التوازن المطلوب .. أخبار .. أهرام .. جمهورية .. معايا الموعد وآخرساعة ..

يتكرر النداء .. إشارة من أصبع زبون مصيف .. نداء أو مجرد نظرة .. كان ذلك كافيا جداً لكى يجرى فى الاتجاه بخفة .. ينتزع الجريدة أو المجلة المطلوبة .. يطويها ويقدمها بأصابع مكدودة مدربة لسه خمسة صاغ .. يسميها عرقى ... دائماً يتناقش فى هذه الخمسة صاغ العرق .. البعض يدفعها عن طيب خاطر والبعض يعتبرها من أساليب «الخم» التى تأباها الكرامة .. والأغلبية تتساءل ثم تحسم

الأمـر سـريعـاً بإعطائه القـروش من باب الهـرب من وجع الدمـاغ ..
يزدحم الشـاطئ أكـثـر ويزداد الضـجـيج ويسـرع إيقـاع انتـقـاله بين
الشماسى فموزع الجرائد لايرحم ولابد له من أن ينتهى من هذا الحمل
.. يتعمد فى مشيته السريعة أن يدوس قواقع أم الخلول الهشة

تيك .. تيك .. تيك

تغمر الأمواج وهى تحتضر على الشاطى قدميه العاريتين يختلط
فيهما لفح الشمس بكرمشة الجلد البايش من المياه المالحة .. يرتطم
الموج .. بوف .. فوف .. ثم يتثاقل إلى أن تمتصه حبيبات الرمل فى
نوبة تثاؤب وسرسبة غامضة .. كارتون الجرائد يقذف للزبائن بأوراقه
المسـودة التى تلطخ يديه ببـقـايا الأحـبـار والرصـاص .. والموج يطرد
خلاصه بارتعاشة قوية مخلفات آدمية وزجاجات مياه معدنية ..
طحالب وقواقع .. دفقات من البول والمنى .. شرائط أدوية ونفايات
مراكب .. يأتى جرار بكلاباته ومخالبه المعدنية لتسوية الشاطئ ونقل
تلال الرمل إلى بطن البـحـر .. ينبش الأرض بقـوة .. ويلقى بالرمل
فيتحول لونه إلى الأسود الطينى .. يرقب ويسمع .. ينصت أكثر ...
صوت غـرز عـامـود الشـمـسـيـة الحـديدى وهو يشج الرمل يخـتـلط
بضـحكات وصـراخ بعض المحـجـبـات السـابحـات اللاتى التـصـقت
جلابيـبـهن الطويلة بأرطال أردافـهن .. واحد أهرام .. أهرام واحد ..
يتخلص منه سريعا ولن يطالب بالخمسة صاغ .. فالنداء قد صار شبقا
وصاحب الشماسى مشغول بزبائنه ولن يعيره اهتماما .. يخلع ملابسه

وراء جسم الجرار . بسرعة ... يضعها علي أسلاك الشمسية ويهرول تجاه البحر ويباغت الجميع ..فإحساس لسعة البحر جميل ولكن الأجمل منه أن يمارس مثلهم طقوس التصييف .. يضرب بقدميه الماء ويهبد بلا تناسق يتناثر الرذاذ علي وجوه المصطافين وأطفالهم ... يفركون العيون .... يعميهم الملح عن متابعة رحلته ... يمسك صاحب الشمسية بثيابه ويصرخ ....

هلاهيل مين دى

وعندما يأتيه الرد يتوعده :- بس لما ييجى ابن الكلب هنا على الشط ...

يتقدم إلى العمق كالمغيب ... يختفى شيئاً فشيئاً حتى لا يظهر منه غير سواد الخشن يتألق بالرذاذ وكفين يعبان من البحر ويمارسان الطرطشة علي الوجه والجسد بهستيريا ....

● ● ● فورت . . . دا

تدغدغه

النار بالدفء .. يسرى تأثيرها فى الجسد .. تقف عند بوابة اليد المفرودة .. تحاول التسلل لاستكمال الخدر والانتشاء .. عقلة الأصبع تتمنع فتصل الرسالة آخر حدود السماح .. ينظر إلى تلك الدوائر التى تتسع لتتوالد بتفرد كأن حجراً ألقى فى بحيرة راكدة .. عصب لا يشي ولا ينذر .. مات ومات معه الإحساس .. هكذا قالها الطبيب وهو يفحصه .... بتوجس . منذ أن هاجمه الجذام ووجهه يحمل سحنة الأسد .. تقطيبة الجبين ولمعة البشرة المغطاه بالورنيش . تعبير ثابت لكل المناسبات .. الفرح والبكاء .. الانكسار والانتصار .. الوهن والانتشاء .. صورة فوتوغرافية لوجه بلا تواصل كبصمة يده ذات الدوائر المتفردة .. اليد تحاول باللمس الحميم .. تفتقد كهرباء الحس وذبذباته ..

يمسك بكيسه المملوء بمجموعته الفريدة من عقل الأصابع .. بعضها مازال يكسوه اللحم الأسود والبعض عظم منحوت أملس ..

كلما تساقط إحداها وضل عن كفه المرتخى جمعه فى هذا الكيس .. لم يبق إلا هذه العقلة لأصبع السبابة الأيسر ملمحه الوحيد .. ظلت تقاوم طويلا .. ترتعش مع كلماته للأمام والخلف .. لليمين ولليسار .. كأنها مربوطة فى أحباله الصوتية .. بتدريب مكثف أصبحت تجيد التعبير فى هذا المحيط الضيق .. طال انتظارها للآخر الذى تتراقص وتتثنى أمامه .. مفعمة بكل إمكاناتها التعبيرية مازالت .. النار تبث الدفء .. يتقرب منها .. يبعتد ... يقترب .. يبتعد .. تهتز عقلة الأصبع المعلقة بسلخ جلدى رقيق كبندول الساعة .. يبدأ الحوار بينها وبين النار ... ترقب عيناه مناجاة اليد اليابسة للهب .. حتما سيستعيد عقلة أصبعه بعد أن تتجرد من الصمت .. افتقاد ثم استعادة .. استعادة ثم افتقاد .. افتقاد ثم استعادة ويستمر الحوار .

○ ○ ○ ذات يوم بينما كان فرويد يراقب حفيده وهو يلعب داخل عربته لاحظ أنه يلقى بلعبة خارج العربة وهو يقول Fort فورت (مضى) ثم يجذبها من جديد بخيط وهو يصيح دا (هنا) وقد حاول فرويد تفسيرها فى كتابة ما وراء مبدأ اللذة على أنها سيطرة الطفل الرمزية على أمه ○ ○ ○

● ● ● عـــلاقــة

مخروط

رمادى اللون تضيئه بقع جرداء تخلو من الزغب + رأس مثلث مدبب يتشمم طريقه باحتراس + شوارب رفيعة تنغرس كالإبر فى مقدمة الرأس المثلث فتعطى توازنا للشكل .. هذا الثلاثى يستند على أربع أرجل دقيقه فيكون الفأر ..

« قال الكاتب أحمد بهاء الدين عن الفرق بين الإنسان والفأر أن الأول لديه تاريخ لأنه يستفيد من خبرات الماضى ويراكمها أما الثانى فلا وأعتقد أنه لا فرق فالمصير واحد »

إسطوانة ضخمة كجذع شجرة يكسوها اللحم وتدعمها العظام وتأبى على الترهل + كره صلعاء شفافه تشغى بومض كهارب التفكير + عينان تبثان ترقبا يتقلبان فى محجريهما بتلذذ من حيره الفأر وذكائه المحدود .. يرتكز كل هذا على قدمين كخفى جمل فيكون رب البيت ..

" قال سيزان أن العالم كرة واسطوانة ومخروط " ..

قضبان طولية وباب مستعرض يغلق بسرعة البرق على عنق الضحية + صمت حتى عن خفق القلوب + كسرة الخبز المبللة وقطعة الجبن فى الانتظار فيكون الفخ ..

قال تعالى :

« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »

صدق الله العظيم

يزحف الفأر مقتربا من الهدف .. يفلت المزلاج ويكسر الصمت صوت أنين .. يزوم فتلمع العينان المترقبتان وتغمرهما الراحة والانبساط وتهتز الكرة فالأمر قد صمت عنه الأذان والنهى قد تم التطاول عليه .. ترتعش الأسطوانة وتسرى فيها عافية الأبدية ويبقى المخروط والمثلث تحت المقصلة .. يتقلص الفأر بانكسار تجاه كسرة الخبز وقطعة الجبن .. كلاهما لم يمس برغم أن أخضر العفن قد بدأ يطغى وينتشر .

●●● بقايا آخر ليالى

عباس بن فرناس

١ - جناحان

الريش

يغطي أرض الدار .. ريش ينتمي إلى كل درجات الألوان وكافة فصائل الطير .. من العصفور الرمادى أبأس مخلوقات المملكة إلى صاحب العزة النسر الأحمر الوهاج أكثرهم مهابة وشبعاً .. يصر عباس بن فرناس على هذا التنوع بالرغم من نصائحهم بالاقتصار على لون واحد ونوع واحد لاقتصاد الوقت والمال .. لكنه يعاند ويجوب قرطبه بحثا عن نوع نادر قرأ أو سمع عنه أو لون متفرد شاهده يسرى في عروق نبات أو صدفة قوقع أو نتوء حصى أو تجزيعة رخام .. إن أعياه البحث أرسل في طلبه مع الرحل فالدنيا واسعه والخيال جامح والعمر قصير .. يجوب ويرسل وينتظر والليلة استقر على الشكل الأخير .. جناحان مفرودان بطول البيت وعرضه يتركان مساحة ضيقة تكفيه بالكاد كى يستلقى على بطنه ويلصق الريش ويشذبه ويهندسه .. تساءل الجميع باستنكار ..

أتريد جناحاً أم لوحة من الفسيفساء ؟! قد تعود هو على السخرية التى تغلف عباراتهم .. دائما تحمل الظاهر والباطن معاً .. أدمنوا السخرية حتى فقدت تأثيرها وأصبحت كحروف الجر والعطف لازمة كلامية ليس إلا .. منذ أن كتب الشعر ومارس شهوة الكشف والاختراع وهو عرضه لنقدهم وفكاهتهم .. لتكن لوحة .. لماذا يستفزهم تشكيل الألوان وتنوعها ؟ .. لماذا تزحف عيونهم بلزوجه على شبابيك الدار ؟؟ إنها تنقر برتابة نقر آخر حبات المطر المحتضره .. يتزامن النقر مع ضربات اليد وهى تشبك الريش وتسرع بمهارة لتنقبض وتنبسط وتتلوى وتدعبس وتلتمس وتحنن .. الريش يطاوعه كما طاوعه من قبل فى قصائده .. احتفظ بريشة قوية كان قد انتزعها من صدر الشاهين أحّد الطيور بصراً .. غمسها فى دمه وسال شبقه إلى الخلق مخطوطاً ..

٢ – مخطوط دوّن فيه تأملاته

الدهشة هى الفريضة الغائبه .. أودعونى بمارستان المجانين لأنى اندهشت .. اندهشت من الزمن أحاول اقتناصه فاخترعت المياقته .. اندهشت أريد الحماية والأمان فى نفس الوقت الذى أطلب فيه العلانية والوضوح فاكتشفت سر الزجاج .. اندهشت من بلادة قرطبه .. صارت رجلاً بكرش مترهل يغفو بعد وجبة دسمة .. طالت تعسيلة العصارى حتى أصبحت دهراً .. شخيراً بأنفاس الجميع .. أعلنتها .. بجناحين سأشارك أسراب الطيور ارتفاعها واقتحامها بجناحين

سأرفرف زافاً إلى الكون نبوءتى .. ولن أحط على جبل أو سهل فأعشاشى فى أركان الكون الممتد ستظل تنتظر سقوطى بعد الإعياء .. بعد انكسار الارتفاع .. وستظل محطتى الأخيرة علامة استفهام مورقة بلا رد .. أعلنتها .. مجانين ولسنا ببلهاء .. جلدونا لطرد الأرواح التى تلبسنا فخرجت أرواحنا نحن ..

استعرت عقلهم فادعيت الشفاء حتى لا أموت رخيصا ككلاب السكك الضالة .. وقررت أن أمضى لأعلى قمم قرطبه .. أرحل مع آخر أسراب الطيور المهاجرة إلى الجنوب حيث الريح أكثر دفئاً والرب أكثر سخاء ..

٣ - مصباح

- إنك تخطو إلى النهاية عامداً .. إنك تنتحر وحتماً ستكون من وقود جهنم ..

صرخ بها محمد بن يحيى صديقه الوحيد بينما يلملم هو مصابيحه ليفض ظلام الجبل ..

- ستموت كافراً ولن يبكيك إنسان .. ستفتقد نشيج المحب وولولة اجترار الذكريات .. سيواريك التراب ويوارى معك سيرتك وأحلامك .. ولن تعيش بعدك إلا وصمة الجنون تلوكها الألسن وتتندر بها أمسيات قرطبه الماجنه .

يمضى فى إطعام مصابيحه الزيت .. صوت قرقعته يكسر فترات صمتهما ..

- سيتكفل المطر يا صديقى بأن يخلدنى ..

- كيف يا مجنون قرطبه ؟؟

- سينبت العشب أمام قبرى ويبعث الحياة فى الطحالب الخضر لتنمو وتخفق حياة من رميمى الدافق فى الرمل ..

- مجنون .. كلام لا يصدر إلا عن مجنون ..

- المجنون سيكمل طريقه .. فالتراجع أصبح مستحيلا .. والمجنون يطلب منك كصديق مطلبه الأخير .. أن تحمل معه المصابيح وأن تساعده على إرتداء الجناحين ..

● يرتدى حلته الجناحية الملونة .. يزف بها إلى ندف السحاب .. يقطر ندى يلقح به الكون رعشة اللقاء . يمضى .. فالكل يجتمع فى سفح الجبل .. يصعد بثقة .. ما تزال العيون مشدودة فاغرة أحداقها .. وما يزال يصعد مقترباً من القمة الثلجية ليفرد جناحيه ويحتوى بياضها البارد بدفء ألوانه وزهوها ....

●●● ثــلاث ظلمــات
بعضها فوق بعض

ظلمـة (١)

لفافـات

من البـفـتـة والشـاش الأبيض تـختـرق ظـلمـة الأسـود بوقار يقتضيه الموقف وحـذر يفرضه المكان . سـورة يس تتلى بتنغيم حزين يزداد سرعة كلما اقتربت نهاية السـورة .. كان يحب هذه السـورة جدا .. هو أول من علمها لى فى الصـغر . ومنذ هذا الزمان حتى كبرنا وتزاملنا فى قسم الرمد فى نفس المستشفى كان يستعيدها منى مراراً وكأنه يخاف أن أنساها فلا تمنحنى بركتها بعد ذلك .

تأخذنى رعشة خفيفة .... أحس بدوار مفاجئ .. ها هو ذا جسده الملفـوف ينزل إلى داخل القـبـر .. ظلمــة سكبت عـلى روحى من أسودها الداكن ما جعلنى ألوذ إلى الداخل .. أياد كثيرة تنزع الأبيض عنه كان الوحيد فينا الذى يرتدى البالطو الأبيض فى المستشفى . كان لونه المفضل وكنا نسخر منه عندما يصر على لبسه ونلقبه بالتلميذ المطيع . أطاعـهم وهم يفكون لفـافـاته ليـصـبح جـسـده جـزءاً من تلك

اللوحة السوداء يكمل شعر جسده آخر رتوش اللوحة . شعر الرأس وشعر الصدر أما شعر العانة فقد انتزعوه بالأمس ليستقبل ضيوف الظلمة وهو طاهر . وحتى يسمح لأول جيوش الديدان الزاحفة أن تنهش ذكره وهومتجرد من التاج . احتضنت الظلمة عورته . لم يكن حضن حنو بل كان حضن مباغته حضن رغبة وتملك يحاول التملص فقد كان لا يملك إلا عورة واحدة وكان يصفنى بأنى كثير العورات إذا حاولت ستر أي منها تسلط النور على أخرى ففضحتنى . تأملت النسوة المبدورات فى المكان . هن أيضا يرتدين الظلمة . نسجن منها كسوة التشييع والعزاء .

صرخت إحداهن فشرخ الصوت الصمت وارتعد الجسد فقد عاش محباً للهدوء والسكينة وأظنه ودعنى كذلك طلب الهدوء فامتثل الجميع للأمر . الجميع بما فيهم الحجر الذى وقف أمام خيط الضوء النحيل النافذ إلى الداخل ومنعه بغلظة وجلافة من التعدى على الأسود لتتمكن الظلمة من السيادة .

ظلمة (٢)

عين ترقب عينا وجبهة تناطح جبهة . بينهما عدسة زجاجية رقيقة بها مصدر للضوء . ظلمة فى كل المكان ولكن هذه المرة بأمرى وليست بالرغم منى . فطبيب الرمد لا يرى إلا حين يحاط بها . أطلبها غالقا لكل مصادر الضوء الأخرى كى أرى عين مريضى العاجز . هو لم يعر الظلمة اهتماما فهى لا تمثل له أى مشكلة فهى

قد إمتلكته منذ فترة وأظنها قد امتلكته إلى الأبد .

مرضاى الذين كف بصرهم منذ أن التحقت بهذا التخصص وحتى الآن وأنا أرى على شفتيهم ابتسامة غامضة لا تفارقهم ثابتة كصورة فوتوغرافية . حاولت تفسير سر هذه ا الابتسامة الدائمة . ودائما أفشل . هل هى ابتسامة سخرية ؟ أم ابتسامة رضا بالمكتوب ؟ . أم هى خوف من أن تتخذ ملامح وجهه شكلا غريباً أو غير مطمئن إذا ترك عضلاته على هواها ولذلك يسلك أسهل الطرق وهى الابتسام .

أظلمت الحجرة .. نظرت إلى القاع .. قاع العين .. كهف مضىء براح للشرايين والأوردة والأعصاب .. أصبحت أحفظ هذه الجغرافيا وألتقط كل تضاريسها بمجرد نظرة . هذه هى الشبكية التى تستقبل الصورة بحلوها وقبحها ولا تميز . مالها اليوم ترفض الاستضافة وتأبى الاقتحام . عصب البصر ضامر يعصى كل أمر ويأبى ترجمة هذه الصور إلى المخ فتصير كل المرئيات سراباً .. مجرد وهم قابل للرواية ولكنه غير قابل للرؤية .... كهف مضىء يفرز ظلمة .

- أول ما المرض جالك . حسيت بإيه ؟؟؟

- حسيت بأن النور بيتسرق منى شوية بشوية ...

عاجز قادته قدماه إلى من هو أعجز منه فكل الكتب المكدسة فى المكتب وفى الذاكرة تستبعد أى حل وتخرج لسانها بالاستحالة فالعصب قد مات وأنا لا أحظى بقدرات إله لأنفخ فيه الروح .

عينه مازالت مفتوحة بالرغم من إضاءة المكان فجأة فلابد أن

أضىء المكان كى أكتب كلمات إنجليزية مبهمة وأضفى عليها مزيداً من الغموض بخطى السريع المهوش . وأنظر إلى الأهل المبهورين بقدراتى العبقرية فى السيطرة على هذه الأجهزة المعقدة والآملين خيراً فى التكنولوچيا .

- إن شاء الله خير .. كلها مسألة وقت .. اطمئنوا خالص ..

ولا بد أن أصف الطبيب السابق بالرعونة وأتهمه بالغباء والجهل وعدم القدرة على متابعة أحدث الأبحاث العلمية . ويتم بفضل إضاءة المكان مد الأيدى فى الجيوب وعد أوراق البنكنوت . وينتابنى الفرح . وأنظر إلى زبونى فإذا بابتسامة تتسع مشعة بشراً وبهجة لأبدأ أنا فى إعطاء أوامرى باستقبال مريض آخر وإتاحة الفرصة للظلمة لتكون لها السيادة .

ظلمة (٣)

الظلمة تتسع وتبدأ نقاط الضوء المعلقة فى السقف والمثبتة فى الأركان فى التلاشى . ينفذ شعاع ضوء من الخلف ماراً كالسهم فوق الرؤوس ليستقر فوق شاشة بيضاء فيحيلها حياة من نقاط الضوء المتراصة على هيئة الصورة . أغلب لقاءاتى معها تتم فى السينما . ودائما تسألنى لماذا السينما بالذات ؟ . ودائماً أردد نفس الإجابة .

السينما ياحبيبتى هى المكان المظلم الوحيد المسموح فيه بالمداعبات الجنسية فى إطار من الشرعية . فالعيون قد داهمت كل الأماكن من الأزقة حتى الحدائق مروراً بهضبة المقطم والهرم وكل آثارنا الخالدة . وأيضا حبيبتى السينما تضفى على الجو بعض

المشهيات التى تبيح الملاطفات الرقيقة انطلاقا من مبدأ هم أحسن مننا فى إيه . قطع « هم تعود على أبطال الشاشة ومننا تعود علينا نحن أبطال الواقع » .

أختار أماكنى بقرون استشعار ذكية دربتها ظلمة دروب السينما . بنظرة من عاملة التذاكر وإشارة من السبابة يتم حجز مقعدين فى أحد الأركان ومنه تبدأ لغة الأيدى المتشابكة واللمسات الحانية . والأيدى دائما على أعلى مستوى من التدريب .. واللمسات فى العادة تحتل الموضع السديد . وتتنامى لغة الأيدى تحمل كلمات الحب والعتاب والعشق والخصام والتمنى و التخلى والاحتجاج والصدود . ولكن يظل الجسد متوحداً مع الظلمه كلاهما لا يعطى جملة أسراره . كلاهما بخيل حتى مع عشاقه .

قفز إلى ذهنى فجأة سؤال عن العلاقة بين الظلمة والجنس ؟ فى ليل نوبتجيات المستشفى كان الجنس دائما يسرح فى الطرقات والحجرات وغرف الطوارئ ودرجات السلالم ويفرض نفسه على النظرة واللفته والإطراقة وحركات الشفاه وتسبيل العيون النعسانة والأيدى المتراخية المجهدة بعد عناء يوم طويل . ولم أستطع أبداً أن أفسر سر هذا الارتباط الشرطى بين النوبتجية وتهاويم الجنس والنكت الخارجة والإيماءات الفاضحة ولكنه كان شيئاً يفرض نفسه كأمر واقع أقوى من أية تفسيرات أو مبررات . أيقظتنى لمسه حانية تسلك عبر كل الحدود لينتفض كل جسدى . ألف يدى اليمنى حولها أضغطها إلى الداخل . أعصرها . ترتفع يدى اليسرى أمام الأعين والجباه ، الأهم أنها أمام شعاع الضوء التافذ من الخلف . ترتفع الأصوات مطالبة إياى بإفساح الطريق لشعاع الضوء ولكنى كنت قد قررت أن تكون للظلمة السيادة .

● ● ● رقصة بابا نويل

الليلة

رأس السنة .. والمكان مقهى صغير . دخلنا لنحتمى فيه من أمطار تلك الليلة .. والشاهد ذاكرة فقدت أعز مالديها .. التناسى .. البرد ينفى التواصل والمقهى كهف ضيق لطالبى الوحدة ورافضى الونس .

الساعة تعدت الثانية صباحاً .. فى هذا الوقت يفقد المقهى ضجيجه وحيويته .. تخفت أصوات الطاولة والدومينو وتهدأ المشاجرات والقباحة وتقل كركرة الشيشة ولا تبقى إلا ذبالة الثرثرة الهامسة والأحضان الثقيلة ونميمة استقبال الفجر .

أقلب فى جرائد الطبعة الأولى وبين الحين والآخر أرشف السحلب الساخن راشيا الدفء .. الصحاب يفركون الأيدى .. يكورونها قبضة ينفخون فيها برتابة ويكررون لعناتهم للجو القارس بنفس القدر من الرتابة .. دخل الرجل الذى بصم على الذاكرة ونفخ فيها روح الحفظ والتصنيف .. لكزنى جارى ليوقظنى إذ كنت مثبتاً نظراتى فى الجريدة على صدر فنانة فاتنة تعلن عن تبرعها بمبلغ كبير لليتامى .. التفت إليه فأشار برأسه تجاه باب المقهى .. عجوز قصير

القامة نحيف يجذب اهتمام الجميع بملابسه العجيبة فقد كان يرتدى بابا نويل .

سألت الجار فأخبرني بأن الفندق القريب من المقهي اعتاد أن يؤجر رجلا كل ليلة رأس سنة لينتقل بين الموائد يحيى الضيوف ويداعب الأطفال ويمنحهم من جرابه هدايا العام الجديد . بعد لحظة تعجب خاطفة انفجرنا جميعاً في الضحك فقد كانت ملابس الرجل فضفاضة ورثة تعلن أكثر مما تخفي .. كان للأحمر الكالح فيها السيادة .. وشريط الأبيض ترابي يميل إلي الرمادية .. وذقنه مهوشة عبارة عن قطن طبى لصقت بصمغ .. بدأ رواد المقهى في إلقاء النكات وتبادل القافية على صاحبنا البابا نويل .. واحد يطلب منه هدية وآخر يعلن أنه ليس أقل من رواد الفندق فهو يحتاج إلي الضحك مثلهم تماماً . والكل يجمع علي أنه لأول مرة يغمرهم إحساس ببداية العام ، فهاهو بابا نويل يجالسهم بلا تحفظ أو تعالى .. ويبدأ الجميع يغني سنة حلوة ياجميل .. سنة حلوة يا نويل .. سنة حلوة يا جميل .. سري الدفء في الأوصال فالدائرة حول الرجل ساخنة وحمي السخرية تتصاعد وتنعش الدماغ يرتعش جسده ويضحك فتزيد الرعشة وتهتز ذقنه البيضاء كبندول الساعة .. توقف وثبت نظراته علي .. أدور حوله مع الجمع ممسكاً بصينية القهوة .. أطبل عليها مفتقداً لأي إيقاع .. الأصوات كثيرة والآلات ملاعق صغيرة وأكواب وصواني ونظراته تزداد تركيزاً وعمقاً .. وأظل أدور وأخبط الكف المفرود في ظهر الصينية المتآكل فتحدث فرقعة ظاهرة وسط الصخب .. جذبني من الدائرة بشدة .. سقطت الصينية من يدى .. تشابكت أيدينا ومددناها إلى أعلى بتشنج وبدأنا الرقص .

● ● ● بيضة الزعيم

● مقدمة لابد منها ...

الملك

عقيم والروح تعافر كى تصعد إلى بارئها .. الشعب يدعو ويبتهل .. رب إعطه القدرة والفحولة كي يمتد ظله ولا ينتهى نسبه .. رب إمنحه الصحة والعافية وقدرة تحدى الزمن .. إذا لم ترد له إبنا ياالله فاحفظه لنا أباً .

تختلط الدعوات ويتعالى اللغط .. الكل يشارك بالرغم من أنهم قد وكلوا شيوخاً عرفوا بالورع والتقوى لاستجداء السماء أن تحفظ ملكهم وألا توصد أبوابها أمام رغبات الملايين من أبناء شعبه المحبين .. الكل مارس الدعاء وتلاعب بصيغه المحفوظة بل وابتكر أدعية جديدة من بنات اللحظة .. يقفون أمام قصر الملك ينتظرون طلعته من الشرفه ملوحا بيده المشعة نوراً ووجهه المشرق بهاء .. ولكن ليس كل ما يراد ينال .. فالقادم هذه المرة ليس الملك ولكنه الوزير خرج ليطمئن الجميع .

الملك يخبركم بألا تخافوا أو تحزنوا فلن تذوقوا اليتم أبداً بعد رحيله . والتشرد ، شعبنا العظيم ، هو مصير غيركم بالتأكيد وطالما تشرق شمسكم فلن يغرب زعيمكم

نص الوصية التي أملاها الملك قبل أن يودع شعبه

ملحوظة : كتبت الوصية بماء الذهب علي جلد الغزال الذى انتفض تحت وقع النقش الذهبي فجلال الكلمات ترتعد منه أفئدة القادة والوزراء ووجهاء القوم فما بالك بجلود الغزلان .

النص كما وصل إلينا :

من الملك المعظم حاكم البر والبحر والجو ومطاع الإنس والجان والعطوف المعطاف المتعطف إلى شعبه المضياف الكريم .. هاقد شملتكم بكريم رعايتى وعظيم عنايتى بعد رحيل جسدى المقدس إلى جنة الخلد فمنحتكم قبساً من الهداية وحماية من الذوبان والتلاشى ... فتركت لكم زعيمكم القادم داخل حصنه الأبيض وما عليكم إلا أن تصلوا له صلاة الفقس الكبرى فزعيمكم فى بيضة يختمر عند شجرة الجميز المقدسة .. فانفخوا فيه الروح بصلاتكم وعندها ستفقس البيضة زعيمكم المنتظر .. سيماثلنى فى الذكاء ويساوينى فى المكانة .. سيجلس على عرشي ويلبس تاجي .. سيضاجع جوارى ويداعب خصيانى .. سيملأ عليكم الدنيا أمناً وأماناً .. وصيتى لكم أن ترتفعوا إلى مستوى الحدث وأن تنحوا خلافاتكم جانبا وتشف أوراحكم كى تقبل صلاتكم ويتم الفقس بسلام وينقر الزعيم بيضته ليكمل تحقيق الحلم .

وسلام عليكم من زعيم الأمس واليوم وغداً .

الإجابة عن تساؤل مشروع للقراء :

لماذا حددت الوصية الشكل البيضاوى بالذات ؟

شكل البيضة أقرب إلى الهرم منه إلى المكعب فالقاعدة عريضة والقمة شبه مدببه لا يستطيع أن يحتلها إلا فرد واحد متمكن مقاوم للتزحلق .. وهذا الشكل استعار من الجبل ثباته ومن الزمن أزليته ... القمة طموحه والقاعدة ركيزة لهذا الطموح ولا نستطيع أن ننسى أيضا أن الأرض بعد ذلك دحاها مما ينطبق مع أحدث النظريات التى أثبتت أن الأرض بيضاوية وليست كروية كما كان يعتقد القدماء .

.. والبيضة ترمز للشمول فلونها يخفى فى نقائه وصفائه كل درجات قوس قزح . والبيضة عند العامة والدهماء هى إسم للخصية رمز الخصوبة والنماء والتجدد والحيوية ، وهى عندهم أول الأعضاء القابلة للانفجار عند التعرض لغيظ مستمر أو ثقل دم متعمد والبيضة قبل كل ذلك قيمة غذائية مرتفعة قائمة بذاتها تغنى عما عداها من غذاء الأرض حيوانياً كان أم نباتيا وأخيراً وليس آخراً هى مكان فقس الزعيم .. ولكن كيف ستفقس البيضة الزعيم المنتظر .. سؤال مشروع آخر ينتظر إجابة .

طقوس صلاة الفقس الزعيمية :

لماذا لم يذكر لنا الملك طقوس صلاة الفقس هذه ؟ لماذا تركنا فى هذه الحيرة نتخبط أمام بيضة عملاقة وشجرة جميز مقدسة تخرج لنا لسانها وتفضح عجزنا . بدأ البعض يتمرد على وضع الانتظار هذا ويقترح فالوقت ضيق والحياة بدون زعيم جحيم لا يطاق . أخرج أحدهم قصيدة عصماء فى مدح الزعيم المنتظر ضمنها كل صفاته المأمولة من صدر مقتحم وكف باطش وشعر نافر ونظرة كاشفة ، وقدم باستعطاف

له أن يهجر بيضته المحصنة وينفذ من قشرتها السميكة إلى عالمنا المتلهف ليرفع أيدينا التى استقرت على الخدود ولتلمع أعيننا ببريق الحلم ثانية .. ظل الكل يتمايل مع سخونة الكلمات وتصاعدها وحبكة القافية وانضباط الوزن وجرس الإيقاع .. لم يصفقوا بعدها ... لأول مرة فى حياتهم لا يمارسون لذة التصفيق بعد سماع قصيدة ... تحجرت عيونهم على قشرة البيضة انتظاراً للفرج .. المدة طالت . حقيقة هم لا يعرفون المدة بالضبط التى ينبغى بعدها أن تفقس البيضة وهذه مشكلة أخرى ولكنهم يعرفون شيئاً واحداً أنهم الآن بلا زعيم وزعيمهم يستقر فى هذه البيضة . وكلما ثقل ظل الوقت زاد شجن اليتم واكتوى انتظارهم بملح التخبط .. بعدها انبرى أحد القوادين المعروفين بالمملكة وقال أجساد الغوانى الحسان وصهد الرغبة الحارق يفقس الحجر فمابالكم ببيضة تحوى زعيماً رقيقاً محباً للجمال مثله ... فليتم التحسيس على البيضة بأيد مدربه رقيقة ينتصب منها شعر الوليد وستشاهدون النتيجة ولن نصبر طويلا حتى يخرج لنا زعيمنا صحيحاً معافى رائق المزاج يحكم بالحب ويؤمن بالتلاحم ويعلى من قيمة الجسد . وتم هذا الطقس بالرغم من مظاهرات الكهنه واستنكار حماة الفضيلة الذين لاذوا بالتعاويذ واستنزال اللعنات . وعندما لم يطل

الزعـيم من شرفـتـه القـشـرية ظن الـشـعب أن غـضب وتعـازيم هؤلاء الكهنه هى السبب المباشر فـتم اللجوء إلـيـهم تحت ضـغط الاحتـيـاج ، فـخيـط الثقة منذ زمن طويل قد انقطع بين الكهنة وبين الشعب ولكن من وقت لآخـر عندمـا تلتـبس الطرق وتضطرب الرؤية يتم التناسى بنفس سرعـة التبـرك . وطلب الكهنة تعـمـيـده بسـائل الجـمـيـز المقـدس فالشجرة قريبة ومباركة وسائل الجميز يداوى العلل وفى خشوع مفتعل توجـه الجـمـيع واليـدان فـوق السـرة . والجـبين مـقطب والعـينان نـصف مـفـتـوحـتين والخطو مـتـثـاقل إلى إنا ء فـخارى ضـخم به سـائل الجـمـيـز لتعميد الزعيم أو بالأصح بيضة الزعيم وفي وسط هذا الحشد الخاشع صاح مـخمور : - أعرف أن الزعيم فى بـيضتـه ممكن أن يسلق أو يقلى لكن أن يعمد ... ذلك لم أسمع به قط ...

وانفجر الجميع فى ضحك هستيرى كضحك سرادقات العزاء التى ما أن تحاول كبتها حتى تأخذ فى الازدياد وسرت عدوى الضحك بين الجميع وأخذ المخمور يهذى :

- زعيم مسلوق أو مقلى ... لك كامل الحرية فاختر ياشعب ...

ويــزداد الضـحك حـتى يطفـر الدمع .. ويزداد حـتى يـجـهـشـوا بالبكاء .. ويزداد حتى تدمى أظافـرهم جلد الوجـوه ... ويزداد ليـتـوجـه الجـمـيع نحـو البـيـضـة وقـد لمعت فى أذهانهم فكرة مشتركة نبهـهم إليها المخمور .. يقتربون أكثر وقد صمموا على إقامة وليمة على بيضة الزعيم .. حتماً سيسرى فى الأوصال ويتـمكن من الأنسـجـة ويتـلازم مع الروح .. وستـضـاف إلى

أبدانهم شفرة وراثية جديدة تورث إلى أجيالهم القادمة ،، أخذوا فى المضغ والهتك والتفكيك والبلع والتذوق .. واشترك الكل فى هذه الوليمة بما فيهم الشاعر والقواد والكاهن والمخمور .

إهداء إلى :

فان جوخ إلى من نظر إلى الشمس وحدق

● ● ● تداعيات اللون الأصفر

بقعة الأصفر تستقر أمامي في منتصف اللوحة كاملة الاستداره على هيئة الشمس .. تستقبلني أول كل صباح وأنا أفرك عيني طارداً بقايا الغفوه . تلتصق بالحائط المواجه لسريرى مائلة هى بعض الشىء . دائمــاً ألاحظ هذا الميل الذى يقلق التناسق ويبدد السيميتريه لم أحاول أبدا تعديل وضعها كما لم أحاول أن أحيطها بإطار خشبي يليق بها ، مجرد صمغ وقبضة تدق بعنف لتلتحم اللوحة بالحائط وانتهت المسألة . الصمغ لم يتحلل بعد واللوحة لم تهاجر بعد إلى أرضية الغرفة حيث تشارك باقى أوراقى المهملة نفس المصير . الحائط منتفخ في بعض الأماكن بلون أصفر كالخ رطب وقشور الجير المتساقطة من حول اللوحة تحيلها جزيرة وسط جغرافيا عشوائيه مرسومة لقارات العالم وأقدام الأميبا الممدودة لالتهام اللوحه ..

تجرأ فان جوخ ووضع الشمس في منتصف اللوحة . وضعها صريحة حادة ، لم يدارها بسحابة أو يعاملها كعورة . إندهش البشر

وأصـيـبـوا بـالنفـور . طبـعـت منهـا مـلايين النسخ لتـسـتـقـر إحـداها فى مواجهتى . من المؤكد أنه نظر إلى الشمس وأدام النظر . بقبس النبوة داخله شاهد ورسم ولون . من غرفه كغرفتى بدأ . للعلم رسم فـان جوخ غرفته أيضا وهى تطبق عليـه من كل جانب تحاول خنقه ، ولكنـه سرح ببـصـره وروحـه إلى الخـارج حـيث الشـمس والحـقـول وبهـجـه الانتـحـار ورعـشـتـه .. شبـاك الغـرفـة بجـانب اللوحـه .. أفـتـحـه .. صرير مـزعج يزفنى .. فى طفـولتى كنت أرسـمـهـا دائرة تشع منهـا ألسنه اللهب .. أقحمها فى جميع حصص الرسم حتى وإن كان الموضوع داخل بيت أو خيمة .. كنت أحاول فتح نافذه فى الجدار كى يطل منها اللون الأصفر .. أحدق فى الشـمس .. جفونى توارى البـصـر .. أباعد الجفنين بعنف .. يطفـر سحاب الدمع .. يستـر الشـمس ويسـترنى هل هو البكاء أم هو رد الفعل البيولوجى اليحت عند إحساس الخطر الداهم ؟؟

ألجا إلى مـاكـتـبـه فـان جوخ ومـا كـتـب عنه .. من المؤكـد أنه حين حـدق ورسم لم تـنـتـبـه أية نوبـة بكـاء . ألجـأ إلى النافـذة حـيث اللون الأصفـر يلتهب ويلقى بصـهده فى جوفى ... تتصاعد الحمى .... توحى لى بـالطيـران من النافـذة .. التـحليق إلى الأعـالى أو الانتـحـار على الأسـفلت المصـهـور .. كـمـا فـعل هو حين صـرخ بحنجـرة الحـقـيـقـة وهو يضـغـط على الزناد .. لم أعـد أسـتطيع أن أتـامل لوحـتـه المائلة على الحائط .. إنها نسخة .. مجرد نسخة .

●●● الخيمة الزرقاء

● إرحمنا واستر عبيدك يابو خيمة زرقا

يسعى خياله الطفولي بحثاً عن أوتاد هذه الخيمة المثبتة في أركان الأرض .. واحد في أقصى الشمال وآخر في الجنوب ووتد في الشرق يواجه مثيله في الغرب . لو يعثر على إحدى هذه الأوتاد لبدأ الرحلة فمنها سيتسلق الحبل ويصعد عليه . قبضتاه تشدان على الحبل المفتول بإحكام وقدماه تتخذانه سلماً ... يتراقص كالدودة في طلوع منتظم يدهن جسمه بالصمغ حتى يكتمل الإحكام .. أقرانه يسخرون منه عندما يتساءل وهم في عز الإستغماية عن سر اختفاء « الخيمة الزرقاء » في الليل لم يجبه أحد منهم ، ولكنه كان دائم العطش إلي الإجابة فأخترعها وابتل ريقه إنه تسربل بالعباءة السوداء التي تلف قريته بأكملها عندما تهجع للراحة لم يبح لأحد منهم بسر إكتشافه ، فهم دائما يسخرون من تساؤلاته الكثيرة ودائما يخافون الخوض في موضوعه هذا بل ويخافون منه شخصيا وخاصة منذ أن امتلك لعبة المطاط التى على هيئة الخنزير . يحبها .. تطلق صفارة جميلة عند الضغط عليها أقرانه يكرهون هذا الصوت

ويتنبأون له بأنه سيشوي في النار حتي تشم رائحة جلده كل القرية . ويتنبأون أيضاً بأن حلمه عندما يتحقق في عبور حدود الخيمة الزرقاء سينتظره من يقذف به من فتحه عبوره للخيمة ليلتوي كذيل سحلية مقطوع حتي يتكوم في منتصف الجرن رماداً توقد به الأفران وتعجن منه القمائن ، تنتصب شعيرات جلده كالأوز لفترة ، وتنتصب معها علامة إستفهام مؤرقة هي كيف سيرتق المساحة التي سيتركها جسده عند اجتيازه لحدود الخيمة الزرقاء .

● ● ● نهاية لعبة

أربع

أيادى صغيرة تعبث في الطين .. تنبش أظافرها بين حباته وتقلب فيها تفتيشاً عن الطعم .. الدود الساكن فى لحمه .. سيهدونه للكبار الذين سيلضمونه فى شعر السنارة ويأتون بالخير الوفير لا يهمه أو يهمها كمية السمك المصطادة أو نوعيتها فالمهم هو أن اللعبة مستمرة والمخالب الطفولية قادرة على البحث والقفش .. يجمعان محصول الدود فى كوز متأكل من الصفيح .. لا يتذكر جيداً متي أهدته هى هذا الكوز ..حاولت بعدها إهداءه عوداً من عيدان الأقفاص التى يمتلئ بها دراهم لينقب بها ويتلمس الطريق ولكن المحاولة لم تستغرق إلا ثوان معدودة كانت كافية لتسرب الملل إلى أصابعه المدربه التى سرعان ما عادت .. لممارسة اللعبة .

تشاركه دائماً فى هذا العالم .. تحارب يدها معه لدخول شق واعد .. تفرح عندما دائماً يمتلئ الكوز .. تخطفه وتنطلق .. تقز القناية كالضفدعة .. تحاوره بجسمها القرموطى الذى لفحته الشمس

فأكسبته خشونة وعز فيه الخير فتشقق كالأرض الشراقى .. يعرف دائماً أنها فى النهاية ستعطيه الدود ولكنه يستمتع باللعبة حتى النهاية ... فالجرى والإفلات من المحاورة أصبحا من أساسيات اللعبة . ترتخى قبضته لتسمح بإنتزاع الكوز . يبطئ الخطو كى تعدو وتفلت .. يختلط صوت ضحكاتها بصفير الصدر وهى تلهث .

عاد اليوم لتكرار اللعبة أرخي قبضته فلم تبادر بالخطف والقنص بل ظلت الأصابع منكسة والعيون مكسورة تفتقد البريق .. هو لا يستطيع القفز إلي خطوة تالية من خطوات اللعبة إلا عندما تأذن له .. هل تسرب الملل إليها أم تريد تغيير اللعبة ؟ وقفت .. نظر من جلسته في وجهها وقد انعكست عليه أشعة الشمس فبدا ذبوله جلياً .

- إنتى ماشية .
- لازم أرجع الدار حالا .. أصلى تعبانة ..
- خلاص نرجع مع بعض .
- معلهش .. أمى قالت لى عيب إنتى كبرتى خلاص ما ينفعش ألعب معاك تانى .

خيط الدم المتسرب من بين فخديها والذى أخبرتها الأم بأنه الإكس وضع حداً للعبة .. لم يفهم ولم يناقش ..

هي كبرت خلاص برغم أن الجسد ما زال ابن الأمس إلا
أن الملامح قد تغيرت وتغيرت معها كل شروط اللعبة ..
ولم يعد الدود يحتاج إلى تنقيب فقد زاد وخرج من
الشقوق فهو لا يعيره اهتماماً حتى ولو بنظرة .

●●● إهداء

إلي الطفلة التى رأيتـهـا يوم السـبت ٤ مـايو ١٩٨٥ وأنا استقل مترو حلوان . متردد أنا فى وصفها بطفلة فبينها وبين هذه الصفة مسافة تقاس بالسنين الضوئية ....

●●● طفلة مترو حلوان

- دار السلام .. الصين الشعبية ..اللى نازل .

ساقان .كعودى كبريت .. جورب أبيض يميل إلى الصفرة فى حذاء شبه أسود .. حين إنطلق النداء كانت الطفلة ذات المريلة الترابية تتأمل المراوح المعلقه فى جدران المترو وسقفه.. الحرارة تصهر الجميع والضرير يتحسس طريقه وسط الأجساد المندمجة بلامبالاه ...

تبرع يا أخى المسلم ..
تبرعى يا أختى المسلمة ..
لبناء بيت من بيوت الله ..... من بنى بيتا لله بنى الله له بيتاً فى الجنة .

أسرعت يدها النحيفة لتساعد الضرير الذى ظل يردد جملته برتابة مكملاً رحلته إلى نهاية المترو ... يدها الخشنة تمسح حبات العرق من على جبينها الأسود وشعرها المجعد المعقوص بقطعة من الأستك يبعث برائحه عرق مميزة .

- دار السلام .. الصين الشعبية .. اللى نازل خلصونا

ثوانى وينطلق المترو ... نظرت إلى الفوضى الأدمية أمام الباب وتنفست بعمق عرقهم وزفيرهم اللاعن .. إندست فى اللحم والأفخاذ والأرداف والأكتاف وشنط الخضروات .. حاولت إختراقهم بحقيبيتها المثقلة بتاريخ الأمة العربية وتركيب جسم الإنسان وقصة الفتى المكافح الذى أصبح من أصحاب الملايين ونتائج الحملة الفرنسية مع التلخيص الوافى لمنظمات الأمم المتحدة بالإضافة إلى أحكام الطلاق وكيفية حساب فوائد البنوك ...

ضغط عليها الكوم الادمى المتحرك ولفظها إلى الخارج .. وقفت على رصيف المحطة للحظة .. ألقت نظرة على حذائها المشوه واحتضنت حقيبيتها واختفت فى الزحام .

●●● رابع المقدسات

- الليلة لا بد ان أخلو إلى نفسي وأكتب عنها ...

أمنية

عزيزة لديه أن يكتب عن نفسه .. كم يتوق إلي هذه اللحظة التى يتعرى فيها أمام الأوراق .. وأن يرسم كل تفاصيل هذا العرى حتى ولو كان الجسم تعوزه الرشاقة .. حتى ولو تهدل صدره وأخذت أردافه هيئة الأنثى .. فليرسم القلم كل هذا وليبتعد عن العرى فى قدسيته وجلاله الإغريقى

يذرع صالة بيته طولاً وعرضاً .. تعبث يداه فى أنتيكات البيت بلا هدف .. تتوتر عضلات وجهه ... تزداد نظراته تحديقاً فى المبهم وينحنى ظهره كالقط الحذر وكأنه يستحضر الإقدام والمغامرة ها هو الليل بهدوئه ونعومته الزوجة والأطفال يغطون فى نوم عميق .. هاهم يدخلون قبر الأحلام البليدة لتدخل أنت جحيم المكاشفة .. .

تأكد من أن غرفة المكتب مغلقة بإحكام
.. وحيد لا يشاركه إلا أثاث الغرفة الفخم
وبعض الأوراق وقلمه العزيز الأنيق الذى
لم يفارقه منذ أن احترف الكتابة .. يمتطيه فيجوب
السطور ويخترق الحجب ويأتى بالمستعصى والمستحيل
.. كل الظروف الآن مهيأة لأن يكتب عن نفسه ...
يكتب مالم يستطع أن يحكيه لزوجته وما أخفاه عن
أصدقائه وأقرب المقربين .. فكر ملياً فى العنوان فليكن
سيرتى الذاتية .. لأتروى قليلا ... لم يكن مقتنعاً تماماً
بأن يطلق على محاولته تلك سيرة ذاتية فهو من أشد
المقتنعين بأن سيرنا الذاتية خرافة ووهم .. البطل فيها لا
يخطئ فهو من المتفوقين دائماً الكابتين لفحيح الغريزة
الضاربين بسلطان المال عرض الحائط .. كل سيرنا
الذاتية ليست ذاتية بل مثالية .. ليست عن الذات
ولكن عما نرغبه فى الذات ولا نخجل منه ..
شطب العنوان بقوة وقرر تأجيل كتابته واتباع
ماكان يفعله دائماً فى قصصه ومؤلفاته وهو أن

ينتظر حتى تكتمل أمامه المادة ويمتلئ هيكل الموضوع بالدم واللحم والأعصاب ثم يفكر بعدها فى منحه العنوان والهوية .. إنها الآن مجرد فضفضة ..

بدأ القلم يلقح أوراقه .. أنا ... ثم توقف .. ثلاثة حروف كبيرة بخط النسخ الذى يعشقه ويكتب به ... ثلاثة حروف ساكنة فى موضعها إحتار كيف يبث الروح فيها .. ها أنا قد بدأت ولكن كيف سأنتهى ؟ كيف ستدور العجلة بدون أن تطحن وتهرس فى طريقها ثوابتى ومقدساتى ؟ .. الثلاثة الدين والسياسة والجنس .. وها هو اليوم يكتشف رابع المقدسات .. الذات .. الأنا .. إنها الأنا .. لقاء طائش ما بين حيوان منوى مغوار استطاع استكمال الطريق وبويضه مسالمة لم تأخذ حذرها جيداً فكانت النتيجة هذا الصمت .. لحظة تنوير حدثت فى ذهن الأب ووافقت عليها الأم فى لحظة صفاء اقتنصاها من الزمن فكانت النتيجة هذا الاسم المخطوط فى شهادة الميلاد ..

استجمع أنفاسه وحاول ان يضحك على هذا المراقب الداخلى كما كان يضحك على مراقب لجنة الامتحانات فى

الماضى .. سيعبث فى الورقة ببعض البيانات المحايدة التى لن تثير الشجون ، وتوقظ المكنون كالبيانات التى تملأ فى استمارات البطاقة الشخصية وجواز السفر .. كتب تاريخ الميلاد بأرقام واضحة والأرقام عنده لا تكذب .. تمنى أن تكون فضفضته مجرد أرقام ولكنه مضطر فحرفته الكتابة وأشد ما يكره علوم الإحصاء .. بعدها كتب الجنس .. طبعاً ذكر بملء الفم وبكل أحبار العالم ... ذكر أم رجل ؟ .. ثلاث سنوات حتى الآن وخلايا الرجولة عنده معطلة .. يصحو ليله وينام نهاره فقد طرد من الجنة .. يحاول العودة إليها بالأقراص المنشطة والعادة اللعينة .. مونولوجه الدائم حيث يفتقد الدفء ورعشة الجنس السحرية .. لكن الأبواب قد أوصدت أمامه والقفز فوق الأسوار من شيم الشباب وهو شيخ وله وقاره ... توقف المعنى عند حدود الذهن ورفض قلمه ترجمة كهربائه الذهنية إلى حقيقة تنبض بها الأوراق .. حتى هذه الطريقة باءت بالفشل لم يستطع مباغتة المراقب .. خانته اللياقة فهو لم يتدرب منذ زمن بعيد فتصلبت عضلات المباغتة والحنكة لديه وفقدت غدد « المماينة » مرونتها القديمة ..

لماذا لا يطاوعه قلمه .. ففخامة بيته وأبهته ووجاهته

ونجاحه الأدبى والسياسى والاجتماعى نتاج هذا القلم المطاوع الدؤوب السلس .. من المؤكد أن الأمر وراءه سر ...

قرر أن يصلى لحل شفرة هذا السر .. فالصلاة دائما علاجه النفسى وبعدها سيستطيع حتماً أن يكتب وأن يصرح بأهم إبداعاته على الإطلاق .. الفضفضة .. أنهى الصلاة بعد ما وضع اليد فوق اليد وأسبل الجفون وحاول التركيز فى السور القصيرة القليلة التى تعيها الذاكرة .. سجد بعدها عدة مرات يدعو ويتمتم .. دائماً يحس بالراحة بعد هذه الطقوس .. وجدتها قفز كأرشميدس من مفاجأة الكشف .. سيبدأ طريق الفضفضة بحديثه عن صلاته ومايحس به من متعة وراحة وأمان إتكلنا على الله.

على الله .. الله .. هل حسم حقاً علاقته معه لكى يبدأ الفضفضة ؟ .. هل يستطيع الكتابة ؟ . . أنا مؤمن .. أكتب عن الراحة التى أحسها فى صلاتى .. أما عن صلاتى فهى أخذاً بالأحوط .. وأما عن الراحة فإنى أحس بنفس الراحة بعد سماع الموسيقى وابن عمى يحسها مع دقات دفوف الزار .. وابنتى تحسها فى صخب حفلات الديسكو .. أين الحسم الذى سأدونه ؟ ؟

وأين الخيط الرفيع بين الزيف والحقيقة فى موضوع علاقتى بالله .. من الأفضل وأخذاً بالأحوط أيضاً أن أترك هذا الموضوع .

حرفتى الكلام فكيف لا أستطيعه ......

ورزقى من الكتابة فكيف لايمسنى الإلهام ....

تجول ببصره فى الغرفة .. ما زالت أبوابها محكمة الإغلاق لم تفتح بعد .. وصندوق القمامة منصت ساكن لم يفضحه بعد.. وأهل البيت يغطون فى نوم عميق مخاصمون للقلق والسهاد .. أسند قلمه العزيز إلى أوراقه .. حدق فيها جيداً .. نقاط متراصة فى طابور طويل وخطوط شطب مائلة وأفقية .. ليست خطوطاً للشطب ولكنها خطوط للطمس . وتفصل بين كل هذه النقاط والخطوط علامات تعجب واستفهام كثيرة غير منتظمة ويحتضن كل هذا الركام الخانق كلمة واحدة .. أنا ... بخط النسخ الذى يعشقه ويكتب به .

●●● العفو والسماح

ورد

إلهى إنى أخاف أن تعذبنى بأفضل أعمالى فكيف لا أخاف من عقابك بأسوأ أحوالى ..إلهى .. بحق جمالك الذى فتنت به أكباد المحبين وبجلالك الذى تحيرت فى عظمته ألباب العارفين . إلهى بحق حقيقتك التى لاتدركها الحقائق وبسر سرك الذى لاتفى بالإفصاح عن حقيقته الرقائق . إلهى . بروح القدس قدس سرائرنا وبروح محمد صلي الله عليه وسلم خلص معارفنا وبروح ابينا آدم إجعل أرواحنا سابحات فى عالم الجبروت واكشف لهم خصائص اللاهوت .

* حبل غسيل يمتد مابين المنبر والحائط المزخرف يحمل قطع الملابس فى غير تنظيم أو إتساق ، الليل يلف المسجد الأثرى إلا من بعض الأضواء المنعكسة من لمبات النيون في الشارع تزيده هيبة وقداسة المقرنصات فى أركان السقف كالمخالب تنهش داخلى فأسرع فى قراءة الورد .. يسرع الأصحاب فى القراءة .. نتمايل .. نزداد سخونة .. يتفصد العرق ويختلط برمادية أرض المسجد .. فالأمر

خطيـر ، وفـعـلة أبى شنيـعـة ، والمكان جليل مـقـدس تـردد جـدرانه أورادنا الراجـيـة ..

نجلس بالقرب من سرير إخوتى .. رائحة البول تزكم الأنوف فمن بين إخوتى أخ لايتحكم فى بوله ليلا .. نستمر فى القراءة نحاول أن نكون صادقين .

ورد

إلهى حل لنا إزار الأسرار عن علوم الأنوار ..

إلهى .. خطفت عقول العشاق بما أشهدتهم من سناء أنوارك مع وجود أستارك فكيف لو كشفت لهم عن بديع جمالك ورفيع جلالك .. إلهي خصني بمددك السبوحي ليحيا بذلك لبي وروحي .

★ كان أبى فى بيتنا السابق قبل تهدمه يستحم كثيراً .. يحمل الاستحمام فى عرفنا معنى واحدا هو أن أبى قد أرضى أمى أمس ونفى ضباب غربته فى أحضانها .. كان يحلم والجسد فى الجسد بأنه قد امتلك الكون وأن قدميه قد وطأتا غابات الفردوس .. وكنت أفرح إذ أراه مبتسماً .. وكان يخجل إذ يرانى مدركاً .. ولكنى فى بيتنا القديم كنت أدعو الله أن يحفظ لنا رجولته كى يحفظ لنا بسمته .

ورد

إلهى أفض على روحى من أسرارك العلية .

مدداً يقربنى من حضرتك السنية وألبسنى تاج مهابتك السبوحية وقلدنى بسيوف العزة والحماية واكفنى شر كل ذى شر بسابق التخصيص والعناية .

★ المسجد مأوانا الجديد .. جدرانه الضخمة بكتلها الترابية وصفرتها الزاعقة .. يعبق الايمان فيه وتراتيل آلاف البشر وتمتماتهم وركوعهم وسجودهم ودعواتهم وإستجاراتهم المحبطة ومحاولة الأيدى فتح طاقة نور وسط ظلام دامس يكفن كل الأشياء .. بكلماته المنمنمة على الجدران تحمل للجميع السكينة وتبشر الأتباع بأنهار الخير وخبز السماح

★ فى هذا المأوى الجديد حاول أبي مع أمى .. أملا فى أن يكون هذا برداً وسلاما . لاصق الجسد الراغب الجسد المرتعش .. إقترب أكثر .. إرتعاشتها تزيده هتكاً للقداسة وإقترابه يزيدها حنيناً .. سرت الكهرباء السحرية فى الأوصال وأضاءت ظلام المكان .. إختلس أبى نظرة فإذا العيون تترقب .. حاول البعض النوم أملاً فى بسمة الصباح المنتظرة .. إعتبرت السكون خيانة .. ثبت نظرى عليهما .. من يفعلها هنا ينبت له قرنان ويأخذ هيئة القرد .. تراجع أبى وانكسرت نظرات أمى الجائعة وانكمش الجميع وتبول أخى ..

ورد

اللهم رب الكعبة وبانيها ، فاطمة وبنيها ، وبعلها وأبيها ، نور بصرى وبصيرتي وسرى وسريرتى ، إلهى بحرمة الحسن وأخيه ، وجده وبنيه وأمه وأبيه ، نجنى من الغم الذى أنا فيه .

★قررت ان أحضر أصدقائى ونقرأ الأوراد ونجلس جلسات الوصل

ونطلب العفو والسماح ونظل طوال الليل نقرأ .. نتمايل يميناً ويساراً يباركنا المكان ويؤنس وحشتنا ... أبى لا يمنعنا .. يتقلب فى سريره .. ينظر إلى السقف .. تغطيه آيه الكرسى وإسم كل خليفه من الخلفاء الراشدين يحتل ركناً فيه يتدلى منه مصباح نتجمع فى نوره نقتات العلم ونرجو الرحمة لمن زل الشيطان قدمه .... كان أبى يبكى أحياناً وأحياناً أخرى يدس رأسه فى الوسادة .. كنت حزيناً ولكنى أنقذته من أن ينبت له قرنان ومن أن يأخذ هيئة قرد .

●●● كتب كتاب

تتشنج

الأصابع في وضع غريب حول طرف القلم السفلي كلها تشارك في خنقه وكأنها تطعن قلب الأوراق ... تخاف أن يهرب منها رسم الحرف .. تضغط بقوة فيراوغ .. تضغط أكثر فيخترق سن القلم قلب السطور .. تتمزق الورقة ويتوقف انسياح المداد .. تحاول مرة أخرى أن تهتك سر هذا العالم الغامض .. عالم الكتابة .. لكن تخونها اليد المجهدة والعين المكدودة .. وأظل أحاول معها ألا تشرب حروفها من البحر .. أن تتقلص هنا وتمتد هناك وأن تحافظ على النظام والاتساق وشروط الكتابة الصحيحة وأهمها الحفاظ على السطر لاطلوع عنه ولانزول .. صراط مستقيم كانت دائما تحيد عنه ...

تنظر ثانية إليّ طالبة الصفح عن تعطيل وقتي وأستجيب متضرراً لتكرار المحاولة فهى عمتى المقربة وأنا مستشارها العاطفى الدائم .. عالم الكتابة كان على الدوام موصد الأبواب أمامها لم

تدخل المدرسة ولم تمارس هذه الشخبطة المنظمة .. شفرة غريبة لم تستطع حلها .. ولكن منذ ان أحبت وتمت خطبتها وهى ترغب فى حل هذه الشفرة وطرق أبواب هذا القصر السحرى الغارق فى النور .. اليوم فقط تحاول أن تبحث عن مفتاحه .. أن تزيل خيوط العنكبوت وأن تقرع الصمت فيجيبها معان وموسيقى .. كانت تراقبنى وأنا أكتب خطاباتها لحبيبها المهاجر لبلاد الجاز .. تترك لى المقدمة لأزينها بالتشبيهات البلاغية والسجع الرنان وعبارات الحب الملتهبة التى كانت نادراً ما تفهمها ولكنها دائماً كانت تمتدحنى على أسلوبى الرقيق وألمعيتى التى تسبق سنى .. كنت كمن يضغط على زر فتنساب الكلمات .. حقاً الرسالة لرجل ولكن تقمصى للدور يفعل المعجزات ويحوز على الرضا والتشجيع اقترب وقت كتب كتابها فطلبت منى أن أساعدها فى تعلم كتابة اسمها .. الاسم الأول فقط .. عائشة ولى الحلاوة .. تريد أن تنقش إسمها على وثيقة الزواج وتحاول إقناعى بان التوقيع بالكتابة أهم من الختم أو البصمة .. بالنسبة إليها إحتفال جديد بالعلاقة . البصمة تحملها منذ ولدت والكتابة منذ عرفته فقط .. هو يقرأ ويكتب .. إنه يفعلهما بالكاد ولكنه فى النهاية يقرأ ويكتب .. وهى تريد أن تكتب كتابها لا أن تختم وتبصم كتابها ... تظاهرت بالاقتناع .. من الممكن أن يكون دخولى عالم الحرف منذ الصغر قد أفقدنى الاحساس بقدسيته فبكارته قد فضت ونشوته لم أحس بها قط .. ففى الطفولة ينحصر الاهتمام فى مجرد رسم الكلمة بدون أى إحساس أننا نقتحم عالماً جديداً .. لكنها كانت توقن أنها بالكتابة أو على الأصح برسم حروف اسمها الخمسة تحقق الحلم .. والمعياد يقترب وتفاصيل الحلم لم تكتمل بعد .. والحرف لم

●●● لعبة التخمين

عينان مفتوحتان يملأهما الرعب والتساؤل نظرة ثابتة تطل من حدقتيه أضاف إليهما الموت سكوناً وصمتاً ... سكوت الخوف وصمت الفزع .. فم مفتوح صارخ يحوى لساناً متدلى كان يريد الحكى والافصاح ولكن شده المجهول فى آخر لحظة وشدنا معه .. الكل ينظر الى هذا الجسد الراقد على أرض مقابر القرية .. جسد منتفخ جلده مشدود لامع كجلود السحالى قد اتسعت مسامه وكأنها تتأهب لسهام الشك والتساؤل المصوبة من العيون ....

لم يكن داخل المقبرة بل خارجها .. كانت المقبرة خلفه وشريط الهلال فى مواجهة عينيه .. كل الجسد زاحف بعيداً عنها ما عدا ذراعه الأيسر .. كان مرفوعاً يشير إلى الرخامة المثبتة على جدار مدفن العائلة .. عائلة منتصر التى يحمل اسمها ولقبها .

بدأ الكل يخمن .. لا بد أن وراء موته شيئاً غامضاً .. فالرجل كان وافر الصحة وافر المال .. وملاك الموت يتمهل دائماً مع أصحاب

القوة ومالكى الثروة .. لو وجد ميتاً فى سريره وبين أولاده وزوجته لهان الأمر واختفى الغموض ولكن أن تقوده قدماه إلى مدافن البلد ليموت بهذه الصورة فهذا هو العجيب فى الأمر .

هل مات بتأثير العمل .. فالجميع يعلم أن منتصر معمول له عمل على قرموط .. يسبح فى الترع فيهيم الرجل على وجهه ويصبح شرط حياته بقاء هذا القرموط على قيد الحياه .. فهل مات القرموط وأسلم معه منتصر روحه الهائمة العائمة ؟

هل اختصر الطريق وذهب ليستقبل الموت حيث مكانه المألوف ؟؟ فالرجل والحق يقال كانت روحه شفافه وغالباً ما كان يتنبأ لأهل القرية بالنبأ الحق .. وبرغم كل ما يقال عنه بأنه صاحب مزاج إلا أنه كان متديناً لا يترك فرضاً والغالب أن شفافيته أتاحت له الإطلاع على الغيب وقراءة ميعاد قبض الروح ..

لا إن الحكاية أبسط من ذلك بكثير فتلك هى عادته منذ أن فقد رحيق الرجولة ونصحه الأصدقاء بأن مفتاح الحل يقبع هنا بين الشواهد وزهور الصبار وعظام الموتى ... فظل يبحث وينقب ولكنه فقد الحياة هنا كما فقد رجولته هناك .

تصاعدت سخونة التخمينات وبدأ الجميع يمارس فن مبارزة المجهول .. والاثارة هنا مضاعفة فالموضوع مجهول والموت فى حد ذاته أعظم المجاهيل وبذلك يضمن الجميع مناقشة تهز حياتهم الساكنة وحادثة تثير واقعهم الضنين بالأحداث وتوقد نار دهشتهم التى ماتت ووريت التراب مع ساكنى هذه القبور ....

واستمرت تخميناتهم وظنونهم وتحليلاتهم ومناقشاتهم وتخيلاتهم

البوليسية المستمدة بعضها من تمثيليات التليفزيون والبعض الآخر من فطرة الفتوى المكبوته فى أوراحهم والمنتظرة لحظة الانطلاق إلى أن اقتحم حسن شوشة إطمئنانهم وقطع عليهم حبل التساؤل الممتد وصارحهم بالأمر .. حاولوا قطع الطريق عليه فهو عندهم كاذب مهما قال فهو صديق قعدة المزاج لمنتصر ولن ينطق إلا بكل ما هو ملفق عنه فمع دخان الحشيش تزول الحواجز وينطلق الخيال ... وهم لا يتعاطونه لأنهم لا يملكون ثمنه ولذلك يتعاطون الخيال ويدمنون التخمين مع هذا الراقد الساكن المتحرك بنشوة اللغز الكامن فى صرخته المكتومة مع هذا الجسد الملاذ ... الحجر الذى قذف بعنف فى بحيرتهم الراكدة .

حسن شوشة يصر على البوح بما فى داخله حتى لو اتهم بالكذب والتلفيق .. بدأ صوته يعلو ويمتد ما بين المقابر ، وما بين أكوام العظام وتراب الأرض ، ما بين الشفاه المفتوحة والآذان المصغية ، بين الرأس وإطراقتها ، بين العيون وتحديقها ، بين الجسد ورغبته ، وبين الروح وفضولها .

جمعتنا قعدة المزاج .. أصابنا الملل فرواد الغرزة هم نفس الرواد كل يوم يلقون نفس النكات وعلينا أن نضحك بنفس نغمة الحماس كل يوم .. الكلام مكرر وصنف الحشيش مكرر .. حتى من يرص لنا الحجر لا يتغير ....خالد كالأهرامات .

مللت الدخان وصوت الشيخ كشك وهو يتصاعد من جهاز التسجيل المتهالك ينعى أخلاق العصر ويتنبأ بمصير المغنية الشمطاء المتصابية التى تغنى للحب .. وكان التغيير

- رهان ... مين الجدع فيكم اللى يقدر يروح دلوقتى وفى عز

الضلمة دى مدافن البلد

- وايه يثبت لنا إنه راح .....؟؟

- يدق مسمار فى مدفن عيلته ...

تحمس منتصر لهذا الرهان .. خبطت قدماه الأرض بقوة وكأنه يقرع طبول التحفز وشد الرحال الى المدافن ... أخذنا الفضول فرحنا نراقبه عن بعد .. أخذ يدق المسمار .. يطعن به الصمت والسكون .. ظل يدق ... يدق ... إستعد للوقوف بعدإتمام المهمة . شد الجلباب فقاومه .... سمعنا صوت الجلباب وهو يتمزع فقد كان منتصر يدق فى كم جلبابه الفضفاض ويثبته هو والمسمار فى جدار المدفن .. ظن أن شبح الموت يشده .. توقف القلب المقدام تلبية للنداء وزفر آخر انفاسه المفعمة بالسلطنة وإنجذب الى عالم الصمت الآخر .

وظل حسن يحكى والكل لا يصدق هل انتهت الحكاية هكذا بس مش ممكن .. رفض الجميع هذه « البس » وظل كل منهم يبحث عن نهاية يرضى بها نفسه .. نهاية اكثر حبكة واكثر خيالا والمهم ان تكون أقل حسماً .

••• حب مصرى جدا

حاول أمس الشاب الجهبذ « طويل القامة محنى قليلا يعطى إنطباعاً أولياً بالغباء » حاول أن يحب .. اختار الحسناء فلانة فى نظره طبعاً بعد جهد المفروض أن يكون عظيماً طبعاً واتكل على الله « الذى تذكره اليوم فقط » وقرر أن يمارس هذا البتاع الحب تحدثا فى كل شيء « أخبر بعد ذلك أنه نسي أن يحدثها عن طعامها المفضل » .

سألته ما نهاية العلاقة ؟ ارتعش عند سماع كلمة علاقة واتسعت عيناه وحاول جاهداً أن يتذكر البداية حدثته عن أن عرق الشرف متأصل فى عائلتها « لم تنس بالطبع أن تخبره بأن قرار إرتداء الحجاب يعذبها » رد عليها بأنه عاشق للشرف ، وإستأذنها فى أن يذهب لصلاة المغرب .

ملحوظة : أثناء حديثها كانت تشد طرف الجيبة كل دقيقة إلى أسفل .....

أدلى لها الشاب أمس الساعة كذا من تاريخه بتصريح مفاده

أنه من الضرورى أن يعرفها جيداً ... كانت دقات قلبه مسموعة وقدماه تصطكان أدلت له الحسناء بتوبيخ ملخصه بأنه لو كان يملك أختاً هل كان يرضى لها هذا المصير ؟

تصبب أمس الشاب عرقاً .. واحمرت الحسناء خجلا وكسر الصمت كلمة كان الشاب قد نوى أن يفجرها : أحبك .. وزاد الصمت إطراقة رأس كانت الحسناء قد نذرتها إذا فتح الله عليها بعلاقة شريفة « وإنما الأعمال بالنيات » تحول مجرى الحديث .. لا إرادياً امتدت يد اللاوعى الدنيئة إلى أسئلة متبادلة عن جغرافية مصر !! انتهج هذا الحديث الجغرافى نهجاً جديداً . نهج استكشاف الأماكن المظلمة فى أرض الكنانة مهد الحضارات التى لم تنس فى غمرة مشاكلها أن تهيىء أماكن مظلمة لخدمة أبنائها العشاق لاتصلها كهرباء السد .

تعانقت أمس يدا الشاب والحسناء نظرا وراءهما فى نفس اللحظة وبلا اتفاق مسبق فوجدا آلاف الأيدى المتعانقة تتأرجح من جذوع مرتعشة عليها رؤوس تطل إلى الخلف .... موكب مصرى جداً يذكرنى بالجنازات التى يتكلم فيها الجميع عن كل شئ إلا الفقيد والبقية فى حياتكم .

●●● حوار فى حضرة الصليب

ارتمى المسافر فى أحضان الأوربية الشقراء .. غزل من زرقة عينيها وصراحة لفظها عش السكينة .. استهلك وقتاً ليس بالقليل كى يصدق أن الحب مازال يعيش برغم الثلج والصقيع .. أمسك بالصليب المعلق فى عنقها . فى بلادى يتاجرون بالرب .. فى بلادى كل يصلب ولكن لا أحد يفتدى بنى البشر .. يصلب بلا ثمن حتى ذاكرة التاريخ تلفظنا .. مذنب أنا وذنبى لايغتفر .

– ماهوذنبك أيها الشرقى الشارد ؟؟؟

ذنبى أن الريح أخبرتنى ذات يوم وهى تطرق باب حجرتى الضيقة أن الحب مباح . ذنبى أن الشمس التى تغدق علينا هناك بلا حساب نحن الفقراء .. فقراء الجيب والفطنة والنفس . همست فى أذنى وخيوطها تتسلل برقة إلى داخل الشرنقة .. علاجك أن تحتضن اليد وأن تبثها نجواها .

ذنبى أنى آمنت والكفل كفرة .. أنى حطمت الأصنام ولم أعِ أن

الكل يملك آلاف النسخ منهـا وأن نارهم لن تكون برداً وسـلامـاً على جسدى النحيل .

قالت وهى تقبله : أريد أن أعيش معك فى بلادك .

قـال والأسى يلفه : لن أستطيع فـالصليب ينتظرنـى وأنا لا أملك إلا حقاً واحداً هو أن أحدد لهم أين سيرشقون أول المسامير .. فى قلبى أم فى احشائى .

●●● عن الفراق

حدثها

هو عن فراق الشمس للأفق فيكون الغروب

.. عن فراق الحبيبة للحبيب فيكون الهجر ..

عن فراق الصديق للصديق فتكون الوحدة ..

عن فراق الروح للجسد فيكون الموت

حدثته هى عن فراق الرائحة للزهر فيكون العطر .. عن فراق الطير لصغيره فيكون القوت .. عن فراق كهارب الذرة للنواة فتكون القوة .. عن فراق الجنين للرحم فتكون الحياة .

●●● رومانتيكيات لا أعتذر عنها

- ١ -

أملك رغبة جامحة في تحويل المسطح الأبيض إلى عالم يموج بالألوان يستفزنى صمته فتناديني الفرشاة كى أخترق هذا الصمت وأمارس الشغب في ذلك السكون .. أرسم خطوطاً منحنية فأنا عادة لا أفضل فى اللوحة الخطوط المستقيمة . ترتعش اليد فى بعض الأحيان فلا يتسق الخط فأضطر إلى إزالته وتكرار التجربة من جديد .. أسكب الألوان الصريحة على المساحة البيضاء .. اللون الأحمر يفرض نفسه دائماً على لوحاتى فهو ينبض بالدفء ويخلو من المواربة .. أضيف بعض الرتوش فى جوانب اللوحة .. ضربات الفرشاة تتوالي بعنف وفي كثير من الأحيان استعمل أظافرى كى أفرد لوناً أو أزيل آخر..

أرجع للوراء خطوتين كى أطل على المنظر فى عمومه وحتى لا أغرق فى التفاصيل ثم أعود ثانية لفرشاتى وألواني .. كثيراً ما أحاول رسم ابتسامة ولكنها دائماً تراوغنى وتتسع وتظل تراوغ وتتسع حتى تصبح استغاثة .. استغاثة باتساع المسطح الأبيض الذى أكره صمته

- ٢ -

على رصيف المحطة كان ينتظر القطار .. يقرأ الجرائد.. يلتهم عناوينها بسرعة .. يدخن سيجارة ويكسر الملل بتغيير وضع جلسته والنظر من خلال نظارته السميكة إلى الحشد المنتظر على الرصيف المقابل بلا مبالاة .. ينظر إلى ساعته .. الوقت بطيء والسفر فى حد ذاته يمثل عبئاً فالمهمة التى سيسافر من أجلها روتينية انتزعته من نوم لذيذ وأحلام ألذ .. وأثناء تجوال عينيه اللامباليتين بين الوجوه لمحها على الرصيف المقابل .. استوقفته .. تنظر هى الأخرى إلى ساعتها بتوتر .. تداعب خصلات شعرها وكأنها تتمسك بحبال الصبر وتخبط بقدميها الحقيبة فى حركة منتظمة كبندول الساعة .. شابة ما تزال .. استنفرت عالمه الهادىء واخترقت الملل برمح فى الصميم .. الشعر ناعم يميل إلى السواد.... العينان من الصعب تحديد لونهما فالمسافة لا تسمح .. الفستان ينم عن ذوق رفيع .... اليد .. أتحمل فى أصابعها دبلة أم لا ؟؟ ركز النظر .. فرك عينيه وحملق .. مر قطار بين الرصيفين .. ضغط بعجلاته وصوته على كل ما أيقظه . استفز حواسه . ظل ينظر إلى تلك العربات الرمادية الضخمة .. مرت ومر معها الحلم ..... عاد إلى الجريدة يقرأ عناوينها .. والسيجارة ينفث دخانها .. والنظارة ينظر من خلالها لينسج باقى أحلام اليقظة .

- ٣ -

جلس في ركن هادي .. أدار شريط الموسيقي الخفيفة .. وأمسك بالقلم والورقة .. وقرر أن يكتب فيها شعراً .. تارة يشبهها بفراشات الحقول وتارة أخرى بأطياف الخيال .. ومرات كثيرة لايذكر عددها حاول مقارنتها بطيور النورس وملائكة الأحلام وفي وسط الأبيات اضطر إلى الكتابة عن شعرها الليلي وكلامها البلسم وابتسامتها الصافية .. وتركت أصابعه القلم ،، أمسك بالورقة ومزقها .. حينها أيقن أن عينيها أكثر صدقاً وأن كل ماعداها نثر رديء.

- ٤ -

في أثناء الحديث معها خيم عليها صمت مفاجيء .. صمت استمر لدقائق معدودة لكنها كانت كافية لكي يبدأ الغناء .. كسر الصمت بدندنة هامسة خجولة .. كان صوته منهكا وبه بحة بسيطة يخجل دائماً منها .. تراجع صوته .. دخل محارة الذات .. لكي يفرض الصمت ايقاعه ثانية .. طلبت منه الاستمرار في الغناء .. كانت لاتجيد كلمات الحب أو أمور البروتوكول وكان فقيراً .. فقير الجيب وفقير اللغة .. ألحت في طلبها على أن يغني .. أخبرها بأنه لم يحفظ طيلة حياته أية أغنية وأن نغماته دائماً كانت نشازاً .. قالت له : فلتغن .. وليرحل الصمت ويكفيني أنك تنشد أغنيتك

●●● فى سبيل الجان

تشابكت يداه .. تعشقت الأصابع في الأصابع .. استندت عليها الرأس التى ارتكنت بدورها على الحافة العلوية لمقعد انتظار .. تطلبت هذه الجلسه هبوطه بالجذع قليلا ومد ساقيه للأمام ليحصل على استرخاء مؤقت طال انتظاره .. شخص ببصره إلى سقف صالة العيادة .. تتدلى منه نجفة صار كل رصيدها من الضوء مصباحين فقط من رصيد اثنى عشر مصباحاً .. همست فى أذنه سيدة عجوز تجلس فى المقعد المجاور .

– ايه الدكتور البخيل ده مش هاين عليه يدفع ثمن الكام لمبة دول .. هو بيكسب قليل ؟؟

كانت تراقبه مبيتة النيه على كسر حدة الملل بتبادل الحديث .. يظهر عليها التصابى واضحاً .. فالمكياج صارخ ذو ألوان فاقعة فشلت فى إخفاء تهدل جلد العنق .. والفستان الأحمر الذى ترتديه يلمع ببريق الترتر .. ضيق على الصدر والأرداف التى ظهرت

بروزاتها برغم كافة الاحتياطيات المتخذة من كورسيه وخلافه .. لم يرد عليها .. واصلت عيناه التجوال .. هبطتا سريعاً كالبرص من السقف إلى الحوائط .. عبرتا خيوط العنكبوت قاطنة الأركان الأربعة والتى كانت تهتز بفعل المروحة ولكنه الاهتزاز الحنون الذي يدلل الخيوط ولايمزقها .. شهادة التخرج بتقدير جيد والتوقيع لعميد الكلية ذائع الصيت مما يدل على أنها غير مزوره .. شهادة قيد بنقابة الأطباء .. شهادة الدكتوراه فى أمراض النساء والتوليد يحيطها برواز خشبى مذهب أو بالأصح كان مذهباً إلى أن طغت على لونه فضلات الذباب .. صورة من المحتمل أن تكون قد أهدته إياها شركة أدويه كدعاية وهى لأم ترضع طفلها .. يظهر من ملامح الأم أنها تنتمى إلى بلاد الشمال فالشعر ذهبى والعيون زرقاء وخدود الطفل مشربة بحمرة العافية .. ثدى الأم يظهر فى الصوره بكل وضوح .. قفز إلى ذهنه تساؤل خبيث .. لماذا نستقبل مثل هذا الثدى الأمومى بهذا البرود وبهذه اللامبالاة .. لماذا حين تبرز أم ثديها لإرضاع طفلها فى الأماكن العامة لاتقابل باستهجان وتأفف أو تهيج وإثاره ؟ .. لم يجهد ذهنه في الإجابة وواصلت عيناه الرحلة الدائرية التى تبدأ من حيث انتهت وتنتهى من حيث بدأت .

العجوز المتصابية مازالت تصر على مد خيوط

الحوار فيسحب مجلة قديمة من على المنضدة التى تتوسط الصالة ويقلب فى صفحاتها بلا تركيز .. تشير السيده إلى صفحه من صفحات المجله .

- مش ده الدكتور .. هو ماله مكشر كده فى الصورة زى مايكون حد مات له .. ولايمكن ده لزوم الأبهة ؟!

- يتظاهر بالاستغراق فى متابعة صفحات المجلة .. تكرر السيده محاولاتها ولكن بسؤال مباغت هذه المرة مشفوع بسيجارة أجنبية مدت يدها بها حتى اقترب الفلتر الذهبى من فمه .

- إجهاض ولا ترقيع .

- طغت المفاجأة على آداب اللياقة والايتكيت فجذب السيجارة من يدها بدون أن يوجه لها كلمة شكر .

- قول ما تتكسفش .. الدكتور ده معروف مابيشتغلش إلا فى الحاجتين دول .. يجهض حتى لو كان ابن تسعة .. ويرقع الغشاء لأي واحدة ويرجعها بنت بنوت من تانى .

ظل صامتاً .. ولكن تعبيرات وجه باحت بأنه صمت المتابع لاصمت الرافض .

- بس أنا شايفة الدبله فى ايدك الشمال .. يعنى

متجوزها .. يعنى ما غلطتش معاها .. أمال جايين المخروبة دى ليه .. آه لازم عندها القلب وماتستحملش الحمل والولادة ..

آه .. آه فعلا عندها القلب ...

نعم قلبها مثقل بالهموم منذ أن اكتشفت الحمل .. كان اسمها قد ظهر فى قوائم الأعارة لبلاد الخليج فهى مدرسة لغة عربية .. تخصص نادر ومطلوب هناك .. حينها أيقن أنه كان يفكر ويخطط بطريقة سليمة وعملية .. وعندما كان يبحث عن الزوجه قالوا له :

– عليك أن تختار إما طبيبة نساء أو مدرسة لغة عربية .. النوعين دول عليهم طلب شديد فى الدول العربية .. هناك الست ماتنكشفش على دكتور .. لازم دكتورة من جنسها .. دى بتوصل هناك لعشرة آلاف ريال .. أما مدرسة اللغة العربية فمطلوبة كمان لأنها بتعطى دروس الدين للبنات .. وأنت عارفهم هناك .. متدينين قوى ويخافوا على أهل بيتهم .

لم يستطع أن يحصل على الصيد الأول طبيبة النساء فهو صيد ثمين يمثل أعلى سعر فى سوق الزواج الحالى علاوة على أن وضعه الوظيفى لايؤهله لنيل تلك الغايه فهو مجرد مدرس فلسفة لن يستطيع فى أى يوم من الأيام أن يعطى دروساً خصوصية أما مدرسة اللغة

العربية فهى قريبة المنال وحتماً سيحصل عليها من بين زميلاته المدرسات خاصة الدفعات حديثة التخرج وأخيراً تم التصنيف والفرز ثم الاختيار السديد .. إنها منى .. لم يجد أحسن منها فهى بجانب جمالها واستعدادها لإرتداء الحجاب تحصل فى كل تقاريرها السرية على درجة إمتياز مما يقربها إلى الجنة الموعودة .. جنة السفر التى كانت تخطط هى أيضاً لها بكل همة ونشاط ..

- منى إسم جميل .. سمعت الممرضة بتنده عليها قبل ما تدخل أودة العمليات ..ياعينى كانت خايفة وبتترعش .. ياترى عاملة إيه دلوقتى .. ربنا يقومها لك بالسلامة .. أخذ بعصبية السيجارة الحية من العجوز وأشعل بها سيجارته الهامده بشهيق متقطع وكأنه يمنح قبلة الحياة لغريق وبعد أن إطمأن إلى سريان النار فى التبغ أعاد لها السيجارة وهى فى دهشه .

كانت حريصة بعد الزواج ألا تفقد بريقها الأنثوى السابق فلابد أن يتسق لون الحجاب مع لون الجيبة والحذاء .. حقاً طالتها يد السمنة فى بعض مناطق الجسد ولكنها كانت مقبولة كتراث مصرى محبب .. تأهبنا للمهمة .. زيارات منتظمة لمديرية التربية والتعليم لنسأل عن مواعيد قوائم الإعارة .. نقرأ تفاصيلها الدورية فى الصحف . طبعاً كنت أبحث عن أسمها فقط فطمعى فى الإعارة هو طمع إبليس فى الجنة .. فأقصى

مـاأتمناه هو أن أسافر كمرافق زوجة .. هذا هو ما أبحث عنه سأرافقها إلى بلاد الجاز والدينارات وهناك سأبحث عن وظيفـة فى إحـدى المدارس عن طريق التـعـاقـد الشخصى .. مرافق زوجه هنا وهنا فقط سنتبادل الأدوار أما فى باقى الأمور فـأنا السيـد .. أقنعنى صديق بأنه ليس فى كلمـه مـرافق زوجـة أى إهانة فـأنت فى هذه الحالة السيـد أيضـاً ألست ذاهباً معها لحمايتـها ؟ ألا تستطيع بجـرة قلم أن تمنع سفرها ؟؟ .. اقـتنعت بهـذا التـبرير الذى سرعـان مـاتبـخـر حين قـالت لى أن حكاية مـرافق الزوجـة هذه مـجـرد إجـراء شكلى لانه يطبق فى بعض دول الخليج وليس كلها .. إنه روتين ليس إلا

أغلقت الممرضة باب حجرة العمليات وراءها بسرعة ودلفت إلى الصـالة فـقـفـز من مـكانه كـمن أصـابـة مس كهربى ليسألها قبل أن تتلقفها العجوز ..

– ايه الأخبار ؟؟

– الحمد لله مرحلة البنج إنتـهت والدكـتـور حيـبدأ يشتغل .. تابعتها العجوز وسألتها أيضاً .

– الدكـتـور قـال لك ايه بالنسـبة للحالة اللى كـانت معايا

– الدكـتـور قـال الأتعاب زى مـا هى مـا تنزلش ولا مليم واحد

- يعنى مافيش فايدة ..

- انتى لسة مش عارفة الدكتور كويس ده ما يقبلش مليم حرام على نفسه ولولا عارف إن دي خدمة لوجه الله وستر لفضيحه ما كانش وافق إنه يعمل العملية ..

- خلاص ماباليد حيله ... أجيبها بكره ...

بالرغم من توتره أو ربما بسبب توتره فتحت كلمة الفضيحة شهوته للحديث مع العجوز التى لم تكن تحتاج إلى أى تمهيد أو مقدمات أو نصب فخ فقد أرادت الفضفضه وأراد النسيان .

- باعتبرها زى بنتى .. فلقة قمر .. هم ثلاثة أربعة اللى كانوا بيناموا معها كانوا .... من العرب المليانين .. كانوا بيدفعوا كتير قوى .. الليلة بتاعتها كانت بتأكلنا الشهر بحاله . لكن مش عارفة ايه اللى صابها من شهرين .. رجعت من العمره لقيتها بتقول لى أنا بحب وأنا وهو اتفقنا على الجواز بس أبوس إيدك ودينى للدكتور يرجعنى بنت تانى .. أصله ما يعرفش ..

قارن بين هذه الموافقة على الدوام وبين زوجته التى أصابتها حمى الرفض والتمنع مما اضطره أخيراً إلى تهديدها بأن لعنة الملائكة ستصيبها إلى الأبد وانها لا بد أن تعطيه نفسها ولو على ظهر بعير .. قرأت

فتأكدت من صحة هذا التهديد.. بعدها تحولت رعشة التمنع الى رعشة

خوف فوهبته نفسها بلا أدنى تردد ونفذت نصيحة صديقاتها المدرسات بأن تكون داعرة معه فى الفراش .. وأثمر هذا الرضا المبارك النبأ السعيد .. تزامن حملها مع نبأ إعارتها .. ذكرها بأن هذا الحمل بسبب رضاه عنها فرضا الزوج من رضا الرب .

اختفت الممرضة سريعاً من أمامها فقد نهرها الطبيب بسبب تأخرها فى الخارج معه ومع العجوز المتصابية .. تمنى أن تكون الرحلة قد اقتربت من نهايتها فبعد موافقات الوزارة واختبارات السفارة والتى حازت فيها زوجته القبول وخاصة حين أجابت على أسئلتهم بتعطيش الجيم .. ظن ان الرحلة قد اقتربت من نهايتها حين دخل المستشفى التى حددتها له السفارة لكى يجرى فيه المعارون التحاليل والفحوص الطبية قبل سفرهم للتأكيد من صحة البدن وخلوه من الأمراض التى تعوق الأداء .. مال على جاره الذى كان ينتظر زوجته هو الآخر وقال :

- إجراء روتينى وشكلى .. مش كده ؟

- طبعاً إلا لو كانت مراتك مريضه بمرض معدى أو خطير مثلاً

- لا الحمد لله من الناحيه دى أنا مطمئن خالص دى مراتى وأنا عارفها وبعدين لو حتى عندها .. المستشفى دى إمكانياته تعبانة ..

- معاك حق ..

- أظن المستشفيات هناك زى أمريكا ..

أمريكا مين .. أحسن يا أستاذ وكل حاجه هناك مجانى ..

- الحمد لله كدة الواحد يطمئن عليها فى الولادة ..

ظهرت على الجار علامات الفزع والتأسى .

- ولادة .. هى زوجتك حامل ؟ .. طب إلحقها بسرعه قبل تحليل البول ما يبين أنها حامل .. الحامل يا استاذ ما تسافرش دى تبقى عبء عليهم .. هى رايحة تكية . دى رايحة تشتغل .

اندفع كالثعبان فى ممرات المستشفى الحلزونية حتى وصل الى زوجته فى صاله إنتظار كشف الأمراض الباطنة .. جذبها من ذراعها بقوه وأمرها بأن تتعلل بمغص مفاجئ حتى تؤجل لعنة تحليل البول حتى تحل بركة الجاز .

لاحظت العجوز التى آثرت ألا تغادر المكان إلا بعد

إنهاء سيجارتها أنه يضحك لأول مرة .. يضحك بصوت عالي ويخبط بقدميه على الأرض الخشبيه كمن يدق طبولاً افريقية ..

- تعرفي ايه العلاقه بين البول والجاز ؟

ألجمتها غرابة السؤال ..

- إنتي عارفة دلوقتي دورنا إيه .. دورنا خلق علاقة اتحاد وامتزاج بين السائلين دول .. بين إفراز بطن الإنسان وإفراز بطن الأرض .

استمر في قهقته وطبوله الافريقية واستمرت هي في دهشتها ..

- حضرتك ممكن تدخل للدكتور وتعطي له باقي الأتعاب .. العملية نجحت خلاص .

قالتها الممرضة مشيرة إلى غرفة العمليات ومضت مسرعة إلى الثلاجة لتحضر للدكتور زجاجة المياه الغازية والتي يفضلها من (الفريزر) رأسا .. حينما جذب الباب استقبلته رائحة المخدر فأحس برغبة ملحة في أن يتقيأ .. بلع ريقه واستكمل السير في اتجاه الدكتور الذي كان يخلع قفازه المغطى ببقع من تجلطات دموية متناثرة .. إنتظر حتى شرب زجاجة المياه الغازيه دفعة واحدة بينما كانت الممرضه تفك أزرار رداء العمليات الأخضر .. تجشأ بصوت عالي والتقط باقي الأتعاب من أصابعه الممدودة

المرتشعه بأصابع رشيقة مدربه وخرج سريعاً بعد أن ربت
على كتفيه مشجعاً بكلمة مبروك .. قاوم رائحة المخدر
وجر قدميه فى اتجاه سرير العمليات ليساعد الممرضة
فى تعديل وضع زوجته فقد كانت كل قدم مرتكزة على
رافعة ومربوطة فيها بإحكام .. وحدق فى وجهها وهو
يفك ويعدل من الوضع .. فمها مفتوح يصدر زفيرا يدفع
بلعابها إلى الخارج كفقاقيع الصابون .. وعيناها
منكسرتان نصف مغلقتين .. يظهر جزء من لون الحدقة
العسلى الذى كان يحبه .. العرق غزير على الجبهة ..
حاول تجفيفه بقطع الشاش المتناثرة على السرير ...
إندفع يسحب مزيداً من الشاش فاصطدمت قدمه بجردل
رابض باستكانه أسفل السرير .. جردل أزرق من
البلاستيك منزوع اليد ومشروخ من جانبه الأيمن ..
هاجمت عينيه ونفذت إلى روحه كالسهم صورة هذه
المضغة الهلامية السابحة فى الدم .. إنها الابن المنتظر
أو البنت المصادره لا يعرف .. قالت له الممرضة حين
لاحظت ارتباكه .

- مش عارفة ليه الدكتور مابيزقش الجردل بعيد
بعد عملية التفريغ .

تفريغ من الواضح أنه هو الاسم الرسمى المتداول
فى العيادات .. نظر إلى نتيجة هذا التفريغ .. جثا
على ركبتيه ودقق النظر فى قاع الجردل .. لون وردى

يميل الى الزرقة .. كرة كبيرة فى نهايتها ذيل كذيل جنين الضفدع .. مستكين في القاع بلا حراك .. ودفع رأسه تجاه زوجته العارية الممده هى أيضا بلا حراك فوق السرير .. ظهرت له ضبابية فقد أخفتها غلالة الدمع عن مستوى النظر .. دخلت العجوز المتصابية على أطراف أصابعها .. اندفعت بمزيج من الفضول والرغبة الحقيقة فى المساعدة .. نهرتها الممرضة فانكمشت إلى الصالة ثانية ..

همست له الممرضة بضيق مفتعل .

- أنا مش عارفة المومس دى قاعدة مستنيه ايه لغايه دلوقتى ..

- تفتكرى صحيح إنها الوحيدة اللى مومس ..

قالها وهو يحمل الجردل من الناحية اليسري بينما تقبض الممرضة على ناحيته اليمني فقد كانت تخاف أن تحمله منفردة فيمتد الشرخ ليجهز على كل الجردل .

الفهرس

صدر من الكتاب الأول

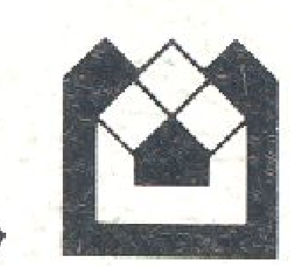
١ - صحراء على حدة	قصص	عاطف سليمان
٢ - دراسة في تعدى النص	نقد	وليد الخشاب
٣ - حدث سرا	قصص	أمينة زيدان
٤ - رسوم متحركة	شعر	صادق شرشر
٥ - ليس سواكما	شعر	عبد الوهاب داود
٦ - احتمالات غموض الورد	شعر	طارق هاشم
٧ - تدريبات على الجملة الاعتراضية	قصص	مصطفى ذكرى
٨ - كلوديوس	مسرحية	محمد السلاموني
٩ - مسرحيتان من زمن التشخيص	مسرحية	محسن مصيلحى
١٠ - ليكن	شعر	هدى حسين
١١ - أحلام الجنرال	مسرحية	محمد رزيق
١٢ - حفنة شعر أصفر	قصص	محمد حسان
١٣ - يستلقى على دفء الصدف	شعر	عطيه حسن
١٤ - النيل والمصريون	دراسة	حمدي أبو كيلة
١٥ - الأسماء لا تليق بالأماكن	شعر	عزمى عبد الوهاب
١٦ - العفو والسماح	قصص	خالد منتصر

رقم الإيداع (١٠٦٧٩ / ٩٦)

الترقيم الدولى (I.S.B.N. 977 - 236 - 694 - 5)

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٢١٠٩ س ١٩٩٦ - ١٠١٣



الكاتب مغرم بالمشاهد المفتوحة ، وبتجمعات الإنسان حول شيء ما . كما أنه منذ البداية يستخدم لغة سهلة بسيطة تتعامل مع المشهد تعاملاً مباشراً إلا حين يتدخل بمشاعره وتعليقاته ، فتنتقل علاقات اللغة من المباشرة إلى المجازية المتعددة الدلالات . إنها قصص تبحث عن الإنسان من جوانب شتى .

